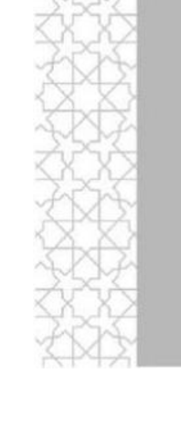
العمل التطوعي
أصوله وآثاره العقدية

د. أحمد محمد فلاح النمرات
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة – كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



العمل التطوعي أصوله وآثاره العقدية

د. أحمد محمد فلاح النمرات

قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة – كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

تاريخ تقديم البحث: ٥/ ٢/ ١٤٤٣ هـ   تاريخ قبول البحث: ١٣/ ٦/ ١٤٤٣ هـ

ملخص الدراسة:

تناول البحث الأصول والآثار العقدية للعمل التطوعي. وجاء في مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة. وسار البحث وفق المنهج الاستقرائي التحليلي الاستنباطي.

أظهر البحث الارتباط الوثيق بين العمل التطوعي والعقيدة الإسلامية؛ فالمسلم يؤدي الأعمال التطوعية انطلاقاً من أصول عقدية أساسية وهي إيمانه بالله تعالى وطاعته له سبحانه وللرسول ﷺ، إضافة إلى أسماء الله الحسنى وآثارها في إيمان وسلوك المسلم، وكذلك الاقتداء بالأنبياء وبالصالحين، ولإيمانه باليوم الآخر وما فيه من ثواب، واستناداً لمفهوم العبادة الواسع، وشكراً لنعم الله تعالى، وانطلاقاً من عقيدة الأخوة الإيمانية، وتكفيراً عن السيئات، ومخالفة للكفار والمنافقين، ولعظم أجور الأمة المحمدية، ورحمة للعالمين.

أما آثار العمل التطوعي العقدية فكان أولها تحقيق الإيمان بالله تعالى وبرسوله عليه الصلاة والسلام وعلامة عليه، ونيل محبة الله تعالى، وفرح القلب وابتهاجه وتليين القلب وعلاج قسوته، وتزكية للنفوس وتهذيبها، ومن آثارها على المجتمع المسلم زيادة الألفة والمودة بين المسلمين، وأنه سبب للرزق والنصر، ومن آثاره العالمية تحسين صورة الإسلام عالميّاً والحد من ظاهرة الإسلاموفوبيا، وفي الآخرة تفريج كربات المتطوع، والفوز بالجنة والنجاة من النار.

الكلمات المفتاحية: العمل التطوعي، العقيدة، الأصول، الآثار، القرآن الكريم والسنة النبوية.

RESEARCH ABSTRACT
"Voluntary Work: Its Fundamentals and Dogmatic Effects"

Dr. Ahmad Muhammad Falāh an-Nimrāt
Department Creed and Contemporary Ideologies - Faculty the Fundamentals of Religion
Al-Imam Mohammad bin Saud Islamic university

Abstract:

The research has comprehended the fundamentals and dogmatic effects of voluntary work. It is comprised of an introduction, a prelude, two chapters, and a conclusion. The research has been conducted according to the inductive analytical interpretative methodology.

The researcher has shown a strong relationship between voluntary work and Islamic dogma (creed). Thus, Muslims engage in voluntary work starting from basic dogmatic fundamentals. These are: his faith in Allah – The Exalted – and obedience to Him – Glorified is He – and His Messenger – May Allah's Peace and Blessings be upon him – in addition to Allah's Divine Names and its influences on the faith and conduct of the Muslim. As well as taking example in the prophets and pious people, the faith in the Hereafter and which has been prepared in it of reward, based on the broad understanding of worship, out of gratefulness for the favors of Allah – The Exalted. Starting from the dogma (creed) of religious brotherhood; as a form of expiation of sins and differing from the disbelievers and hypocrites. And out of gratefulness for the rewards of the congregation (Ummah) of Muhammad and mercy for the Worlds (mankind, jinn, and all that exists).

The dogmatic (creed) effects of voluntary work are: Firstly, the realization of faith in Allah – The Exalted, His Messenger – Allah's Peace and Blessings be upon Him – and a clear sign of this. Then, the obtainment of Allah's love, the happiness of the heart and its joy, the softening of the heart and a cure for its hardness, and purification of the souls and its cultivation. And from its effects upon the Muslim society are the increase of feelings of care and love between the Muslims and a means for attaining provision and victory. And from its international effects are: the improvement of the image of Islam worldwide and to put a stance towards the phenomenon of islamophobia. And at last, the ease of difficulties for the volunteer and the achievement of success with Paradise and salvation from the Hellfire.

keywords: voluntary work, creed, fundamentals, effects, the Noble Quran, the Prophetic Tradition.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين عمَّ برهُ وتوالى فضله، وأشهد أن لا إله إلا الله الملك الحق المبين البر الرحيم، خلق عباده وأرسل إليهم الرسل وأنزل الكتب، وكانت الرسالة المحمدية من أعظم مظاهر بره للعالم يقول الله سبحانه: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾[الأنبياء: ١٠٧] أحمده سبحانه على ما شرع من شرائع الإسلام وجعلها تامة صالحة إلى آخر الأزمان، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله وخاتم أنبيائه صاحب الخُلُق العظيم أعظم من تطوع بالخير، وأحرص على الخلق من أنفسهم، اللهم صل عليه وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان، أما بعد:

فإن المسلم كلما أراد البحث في موضوع مستجد أو طارئ رجع إلى القرآن الكريم والسنة النبوية فوجد فيهما أصول هذا الموضوع، بل يجد أيضًا فروعه وتطبيقاته بائنة تلوح ساطعة لمن كتب الله له الهدى والرشاد. وقد تتبعت فكرة مباركة -انقدحت في ذهني منذ ثلاثة أعوام - عن العمل التطوعي الذي انتشر في العقدين الأخيرين وأصبحت الحكومات تهتم به كثيراً، وتجعل له مراكز متخصصة وبرامج لتنميته وتشجيع الناس على المشاركة في أعماله وتنفق لتلك الغايات الأموال الكثيرة.

وعندما تأملت العلاقة بين العمل التطوعي وعقيدتنا الإسلامية الغراء وجدت الترابط الجلي بينهما ووجدت أن له علاقة وثيقة جدًّا مقررة في الكتاب والسنة من خلال أسماء الله الحسنى ثم أركان الإيمان وأصول العقيدة،

كما وجدت تطبيقات كثيرة للعمل التطوعي في السنة المطهرة وأفعال سلفنا الصالح؛ فعزمت مستعيناً بالله تعالى على الكتابة في هذا الموضوع بعد أن بحثت مليّاً فلم أجد من سبق وأفرد أصوله وآثاره بدراسة عقدية. وسميته "العمل التطوعي، أصوله وآثاره العقدية".

أهمية الموضوع:

١- تسد الدراسة فراغاً واضحاً في المكتبة العقدية وفي دراسات العمل التطوعي لعدم وجود دراسة عقدية تؤصل للعمل التطوعي في الإسلام.

٢- تربط الدراسة بين العقيدة الإسلامية والأخلاق العملية المترتب عليه نفع المسلمين والإنسانية كلها.

٣- تؤكد الدراسة عالمية وإنسانية دين الإسلام وشموليته، وأنه ما من خير إلا والإسلام سابق إليه.

مشكلة البحث:

يعالج البحث مشكلة إثبات الترابط بين العمل التطوعي والعقيدة، ويحاول الباحث إبراز تلك العلاقة وبيانها وفق الأصول والقواعد العقدية مستشهداً بالقرآن الكريم والسنة المطهرة.

أهداف البحث:

١- بيان الأصول العقدية للعمل التطوعي في الإسلام.

٢- بيان الآثار العقدية للعمل التطوعي على الفرد والمجتمع.

٣- إقامة الأدلة العملية والتطبيقات على ممارسة العمل التطوعي في المجتمع الإسلامي على مر عصوره.

الدراسات السابقة:

كثرت الدراسات المتعلقة بالعمل التطوعي في العلوم الشرعية وجلها في تخصصات الفقه أو أصول الفقه أو التربية الإسلامية فسأوردها حسب الأحدث وهي كما يأتي:

- العمل التطوعي، دراسة فقهية تأصيلية، د. أحمد الونيس، الجمعية الفقهية السعودية، ٢٠٢٠م.
- العمل الخيري وأثره في العصر النبوي، دراسة تاريخية للدكتور سلطان المقاطي، ٢٠٢٠م. ركزت الدراسة على موارد العمل الخيري ثم التسلسل التاريخي للعمل الخيري ثم آثار العمل الخيري، فالدراسة تاريخية لم تتناول الجوانب العقدية للعمل الخيري.
- موسوعة التطوع، خمسة مجلدات، تأليف: أحمد سليمان أيوب ونخبة من الباحثين، نشر: دار العلم، مصر، ١٤٣٩هـ. بعد التدقيق في مفردات الموسوعة تبين أن الموسوعة لم تتعرض للجوانب العقدية وإنما ركزت على الجوانب الفقهية ونماذج عملية على التطوع من القرآن والسنة النبوية. وتناولت القضايا الميدانية للعمل التطوعي والمخالفات الشرعية والموارد المالية ووسائل العمل التطوعي ومعوقاته والفتاوى المتعلقة به. والنتيجة أن الموسوعة لم تتناول الأمور العقدية.
- العمل الخيري مفهومه، فضله، مجالاته، خصائصه، بحث منشور في مجلة العلوم الشرعية في الجامعة الإسلامية العدد ١٧٤، عام ٢٠١٧، للدكتور

سلطان عمر الحصين. ولم يتناول الباحث الجوانب العقدية في العمل التطوعي.

- العمل الاجتماعي التطوعي، تأصيل وتوصيف، بحث منشور في مجلة البحوث والدراسات الشرعية، العدد ٢٥، ١٤٣٥، د. ميادة الحسن. لم يتعرض البحث للجوانب العقدية.
- العمل الخيري في ضوء القرآن الكريم، دراسة موضوعية، بحث منشور في مجلة البحوث والدراسات القرآنية التابعة لمجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، العدد ١٩، السنة الحادية عشرة، للباحث د. عبد الله بافرج. والبحث في تخصص التفسير فلم يتناول الجوانب العقدية وإن كان أورد بعض ثمرات العمل التطوعي العقدية.
- أثر العمل التطوعي على الإيمان، دراسة عقدية تأصيلية. بحث منشور في مجلة البحوث والدراسات الشرعية، جامعة أم القرى، العدد الثاني، شوال، ١٤٣٣هـ، د. أسماء محمد بركات. يلاحظ على هذا البحث وأن كا عقدياً لكن اقتصرت الباحثة على دراسة أثر العمل التطوعي على مفهوم الإيمان وشعبه وزيادة الإيمان ونقصانه وأثره على أحكام الوعد والوعيد. أما دراستي فستبحث الأصول العقدية للعمل التطوعي وتركز عليها، كما تتناول دراستي آثاراً عديدة للعمل التطوعي- كما يظهر في الخطة - لم تتناولها الباحثة.
- مسؤولية الدعاة تجاه العمل التطوعي، رسالة دكتوراه من قسم الدعوة والاحتساب بكلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود

الإسلامية، عام ١٤٣٣، للطالب: أحمد البوعلي. الدراسة في تخصص الدعوة وقامت على الدراسة الميدانية للدعاة، وليس لها أي تعلق بالجوانب العقدية.

- كتاب: الأعمال الخيرية في الإسلام، مشروعيتها آدابها تطبيقاتها، وأصله رسالة دكتوراه من جامعة النيلين السودانية، د. عبدالله دغيلب المرزوقي، عام ٢٠١٠. بعد التأمل في الكتاب يلاحظ أن الباحث لم يتناول الجوانب العقدية للعمل التطوعي.
- العمل التطوعي في السنة النبوية، دراسة موضوعية، رسالة ماجستير في قسم الحديث الشريف في جامعة غزة للباحثة رندة محمد زينو، عام ٢٠٠٧م. لم تتعرض الباحثة للجوانب العقدية.
- تطوير العمل التطوعي، دراسة مقاصدية تطبيقية، بحث محكم في مجلة البحوث الإسلامية الصادرة عن هيئة كبار العلماء، العدد ١٠٥، للدكتور عبد القادر الخطيب. البحث لم يتناول الجوانب العقدية.
- الأعمال التطوعية في الإسلام، د. محمد صالح القاضي، ورقة عمل مقدمة للقاء السنوي الرابع للجهات الخيرية بالمنطقة الشرقية، وكان البحث عامّاً لم يتناول الجوانب العقدية.
- الأعمال التطوعية في الإسلام، د. إبراهيم البريكان، بحث مقدم للقاء السنوي الرابع للجهات الخيرية بالمنطقة الشرقية، والبحث عام لم يتناول الجوانب العقدية.

يظهر بوضوح خلو الدراسات السابقة من تناول الأصول والآثار العقدية للعمل التطوعي، ووجود فراغ واضح في دراسة الأصول العقدية للعمل التطوعي. ولعل هذا يحفز المختصين في العقيدة ويلفت أنظارهم لسبر هذا المجال الرحب، سائلاً المولى سبحانه أن تكون هذه الدراسة نواة طيبة للدراسات العقدية المتعلقة بالعمل التطوعي.

منهج البحث:

يسير البحث وفق المنهج الاستقرائي التحليلي الاستنباطي، فباستقراء وتحليل آيات الكتاب العزيز والسنة المطهرة القولية والعملية أستنبط الترابط بين الأصول العقدية وبين العمل التطوعي. وأعني بالأصل العقدي أحد أركان الإيمان الستة ومتعلقاتها، إضافة إلى ما اتفق المسلمون على اعتقاده وإن لم يكن من أركان الإيمان كالأخوة الإيمانية وعظم أجور الأمة المحمدية وغيرها وسميتها كلها أصولا. ومنهجي في البحث أن أبدأ بذكر الأصل العقدي وأقعد له عقديا، ثم أستدل له من القرآن الكريم والسنة المطهرة مبرزاً – ما استطعت– الصلة بينه وبين العمل التطوعي، ثم أذكر أمثلة وتطبيقات للعمل التطوعي.

إجراءات البحث:

بالنسبة للتوثيق فنظراً لكثرة الأحاديث النبوية المتعلقة بالموضوع فستكون معظم الإحالات على ما ورد عند البخاري ومسلم، وسأكتفي بذكر عام وفاة الأعلام غير الصحابة والأئمة من غير ترجمة لهم، وسأعرف بالغريب.

خطة البحث: انتظم البحث في مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة على التفصيل التالي:

مقدمة وفيها أهمية البحث ومشكلته وأهدافه والدراسات السابقة ومنهج البحث وخطته.

تمهيد: التعريف بالعمل التطوعي ومرادفاته.

المبحث الأول: الأصول العقدية للعمل التطوعي في الإسلام، وفيه أحد عشر أصلًا

الأصل الأول: أسماء الله الحسنى وآثارها.

الأصل الثاني: طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ .

الأصل الثالث: الاقتداء بالأنبياء عليهم السلام وبالصالحين.

الأصل الرابع: الإيمان باليوم الآخر.

الأصل الخامس: المفهوم الواسع للعبادة .

الأصل السادس: شكر النعم .

الأصل السابع: الأخوة الإيمانية.

الأصل الثامن: التكفير عن السيئات.

الأصل التاسع: مخالفة الكفار والمنافقين.

الأصل العاشر: عظم أجور الأمة المحمدية.

الأصل الحادي عشر: الإسلام رحمة للعالمين.

المبحث الثاني: الآثار العقدية للعمل التطوعي، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الآثار العقدية الدنيوية على المتطوع والمجتمع.

المطلب الثاني: الآثار العقدية الأخروية.

خاتمة (نتائج البحث وتوصياته)

المراجع. فهرس الموضوعات.

سائلًا المولى سبحانه التوفيق والسداد، والحمد لله رب العالمين.

***

تمهيد: تعريف العمل التطوعي

لم يعرف- فيما وقفت عليه - عند المسلمين ولا غيرهم في القرون الماضية تسمية بالعمل التطوعي أو الخيري وإنما هي مصطلحات معاصرة، هذا من جهة التسمية، ولكن من جهة التطبيق والاهتمام فلا شك أن العمل التطوعي كان موجوداً في القرون الأولى وإن اختلفت الأساليب والناحية الإعلامية بحكم اختلاف الزمان وتطور الوسائل؛ ومن هنا فإن الباحث فيما كتبه السابقون لا يجد تعريفاً للعمل التطوعي- إلا بما يتعلق بالعبادة الزائدة عن الفريضة كصلاة الليل وصدقة التطوع، فنجد أن الجرجاني(ت: ٨١٦هـ) يقول: "التطوع: اسم لما شرع زيادة على الفرض والواجبات[(١)]" فالمقصود أن العمل التطوعي كمصطلح لم يعرف قديمًا.

وأما في الزمن الحاضر فنظراً لاختلاف الأحوال وانتشار العلوم واختلاط الثقافات بسرعة أكبر من القرون الماضية، فقد وجدتْ مراكز كثيرة في دول العالم وعند المسلمين تهتم بالعمل التطوعي، وانعكس هذا الاهتمام على مختلف المجالات ومنها تخصيص دراسات لهذا الموضوع وبحثه من مختلف جوانبه الشرعية والاجتماعية والأمنية والتربوية والاقتصادية وغيرها. وكي لا أطيل في المقدمة أبدأ بتعريف العمل التطوعي.

---

(١) التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، ص ٦١، تحقيق: جماعة من العلماء، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

من أجمع التعريفات تعريف الدكتور عبد القادر الخطيب حيث عرفه بأنه: "عمل يُبذل بالاختيار يجلب مصلحة للغير أو يدفع مفسدة عنه، من غير انتظار عوض مادي بالضرورة[١]").

ويمكن تعريف العمل التطوعي في ضوء الكتاب والسنة بأنه: عمل طوعي يقدمه شخص أو أكثر سرّاً أو علانية إلى مخلوق لنفعه في الدنيا أو الآخرة من غير مقابل مادي أو معنوي مشروط ".

شرح التعريف:

عمل: يتضمن الفعل أو القول. فقد يكون العمل التطوعي قولاً كإلقاء محاضرة نافعة في أحد المجالات العلمية أو فعلاً بمساعدة فقير أو أعمى. وقد يكون التطوع بهما أي بالفعل والقول أو بالمال أو الفكر معًا.

طوعي: يخرج به العمل اللازم الذي يقدمه الإنسان بناءً على واجب شرعي كنذر أو كوظيفته مثلًا.

شخص أو أكثر: بعض الأعمال التطوعية تقدم من قبل فرد أو جماعة قليلة أو كثيرة.

سرًّا: قد يقدَّم العمل التطوعي بشكل سري بحيث يفعله المتطوع خفية من غير معرفة الشخص المراد مساعدته، وبعيداً عن وسائل الإعلام، وهذا كثير

---

(١) تطوير العمل التطوعي، دراسة مقاصدية تطبيقية، بحث منشور في مجلة البحوث الإسلامية التابعة لهيئة كبار العلماء، العدد ١٠٥، ص ١٢٨، د. عبد القادر ياسين الخطيب.

في الأعمال التطوعية عند الصالحين كتطوع عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع العجوز مثلًا[1])

مخلوق: قد يتطوع الإنسان لمساعدة شخص دون تحديد دينه أو وطنه أو لونه، وقد يتطوع لمساعدة حيوان بإطعامه أو إنقاذه، وقد يقدم الخير لأي إنسان مسلماً أم غير مسلم.

لنفعه في الدنيا أو الآخرة: نفعه بجلب نفع أو دفع ضر دنيوي عن المحتاج للمساعدة، ونفع الآخرة كالدعوة إلى الإسلام وإلى مكارم الأخلاق مثلًا.

من غير مقابل مادي أو معنوي مشروط: من يقدم العمل التطوعي لا يأخذ ولا ينتظر مالاً أو مكافأة ما أو ترقية أو مساندة مستقبلية أو احتراماً أو تكريماً من أية جهة سواء ممن قدَّم له المساعدة أو من أية جهات حكومية أو اجتماعية أو شهرة أو غيرها. أما إن حصل أن كرمت جهةُ ما بعض المتطوعين من غير شرط مسبق أو أنه اشتهر من غير نية وترتيب من المتطوع فهذا لا يعارض التطوع ما دام أنه من غير اشتراط.

تنبيه: من المهم هنا التنبيه على الاستثناء من هذا المقابل من رؤية إسلامية وهو ما ينتظره المسلمون من الله تعالى على ما قدموه من عمل تطوعي، فإنهم سواء طلبوا من الله أم لم يطلبوا فإن الله أكرم من عباده فإنه سبحانه يجازيهم الحسنة بعشر أمثالها، إضافة إلى الطمأنينة والسعادة والحياة الطيبة وزيادة الإيمان الذي يعمر قلوبهم أو أن المتطوع دعا ربه أن يجزيه عما تطوع به فحصل له خير وعطاء من الله فهذا إكرام رباني ينتظره كل متطوع عاجلاً في

---

(١) انظر ص ١٤ من البحث.

الدنيا أو آجلاً في الآخرة أو في كليهما. وما يحصل من ذلك لا يعارض العمل التطوعي.

ثانيًا: مرادفات العمل التطوعي

يطلق على العمل التطوعي ألفاظاً متشابهة عند بعض الباحثين وعند الناس عموما وأشهرها: العمل الخيري، ومصطلح العمل الخيري يقترب من العمل التطوعي مع بعض الفروق بينهما. يقول الدكتور سلطان الحصين: "ومما يلحظ هنا التقارب بين المعنى الاصطلاحي للعمل الخيري والتطوعي، إلا أنه يمكن القول بأن مصطلح العمل الخيري أعم وأشمل من مصطلح العمل التطوعي، كما أن مصطلح الخير أكثر وروداً واستخداماً وتكراراً في القرآن الكريم من مصطلح التطوع[١]"

ومن مرادفات العمل التطوعي المستعملة بكثرة في هذه الأيام: المسؤولية الاجتماعية، ويراد به دور القطاع الخاص (الشركات والمؤسسات ورجال الأعمال) في تقديم الخير للمجتمع المحلي والعالمي[٢]ومن مرادفاته أيضًا الإحتساب والإحسان. أما دراستي هذه فاخترت العمل التطوعي عنواناً لها كونه الأكثر رواجاً في المجتمع.

---

(١) انظر: العمل التطوعي التطوعي: مفهومه فضله مجالاته خصائصه: د. سلطان بن عمر الحصين، بحث منشور في مجلة الجامعة الإسلامية، العدد ١٧٤، ص ٣١٧.

(٢) نفس المرجع السابق، ص ٣١٩.

المبحث الأول: الأصول العقدية[1] للعمل التطوعي

تضمن القرآن الكريم الهدى والنور والبيان، وعلى المسلمين أن يتدبروه ليستنيروا بنوره فيقودهم إلى الخير وسعادة الدارين يقول الله تعالى:﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾[النحل:٨٩]

وللعمل التطوعي ظهور جلي في القرآن الكريم والسنة المطهرة، وله أصول عقدية تقرره وأمثلة كثيرة تؤكده؛ ومن أبرز الأصول العقدية التي تقرر العمل التطوعي: أسماء الله الحسنى فهي تقرر العمل التطوعي وتحفز المسلم لفعله من خلال آثارها الجليلة والتي أحاول تقرير شيء منها فيما يأتي:

الأصل الأول: أسماء الله الحسنى وآثارها

أولًا: التأصيل العقدي

يعد ركن الإيمان بالله تعالى أول أركان الإيمان وأساسها وما بعده من أركان تبع له فقدم ذكره عليها دائما. يقول الله جل شأنه:﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴾[البقرة: ٢٨٥].

(١) الأصول العقدية تقدم المراد منها في منهج البحث، وهي أحد أركان الإيمان الستة ومتعلقاتها، أو ما اتفق المسلمون على اعتقاده من قواعد عقدية وإن لم تكن من أركان الإيمان وسميتا جميعًا الأصول لأنها صارت أصولاً ينطلق منها المسلم للأعمال التطوعية.

من أعظم ما يؤمن به المسلم بعد إيمانه بأن الله واحد لا شريك له، أن يؤمن بأسماء الله الحسنى وما تتضمنه من معاني العظمة والجلال والكمال وأن يتعبد الله بهذه الأسماء الجليلة، يقول الله جل شانه:﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾[الأعراف:١٨٠]

ولعظم أسماء الحسنى افتتح الله تعالى كتابه بها لتكون تعليماً وتأديباً لكل خير يبتدأ. قال الطبري(٣١٠هـ) رحمه الله عند تفسيره سورة الفاتحة: "إن الله تعالى ذِكره وتقدست أسماؤه أدّب نبيه محمداً ﷺ بتعليمه تقديم ذكر أسمائه الحسنى أمام جميع أفعاله، وتقدم إليه في وصفه بها قبل جميع مهماته، وجعل ما أدبه به من ذلك وعلمه إياه، منه لجميع خلقه سُنة يستنون بها، وسبيلاً يتبعونه عليها، فبها افتتاح أوائل منطقهم، وصدور رسائلهم وكتبهم وحاجاتهم، حتى أغنت دلالة ما ظهر من قول القائل: "بسم الله"، على من بطن من مراده الذي هو محذوف[١].

وإذا كان لأسماء الله الحسنى معانٍ عظيمة وجليلة فإن لها أيضًا آثارًا وانعكاسات شملت الكون كله، ولها كذلك آثار في حياة المسلم وسلوكه، فالمسلم يتقرب إلى ربه سبحانه بآثار أسمائه الحسنى، وقد رغّبنا نبينا على هذه العبادة الجليلة، فقال ﷺ «إن للهِ تسعةً وتسعين اسمًا، مائةً إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة[٢]» قال ابن حجر (ت:٨٥٢ هـ)رحمه الله: أحصاها:

---

(١) تفسير الطبري، ١/ ١١٤.

(٢) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب: إن لله مائة اسم إلا واحدا، ١١٨/٩، رقم(٧٣٩٢).

أطاق العمل بمقتضاها[1]وقال الصنعاني(ت: ١١٨٢هـ): المراد بالإحصاء الإطاقة. والمعنى من أطاق القيام بحق هذه الأسماء والعمل بمقتضاها وهو أن يعتبر معانيها فيلزم نفسه بموجبها[2]"

وبهذه المعاني الإيمانية الواضحة تتجلى العلاقة بين العمل التطوعي وأسماء الله الحسنى فهي الأصل الأول الذي ينطلق منه المسلم لرحمة الآخرين فمن معانيها يتعلم المسلم ويتأدب وبالعمل بمقتضاها تسمو أخلاقه وخاصة أسماء الرحمة وما يماثلها؛ إذ تولد في قلب المسلم محبة ورحمة وحناناً وشفقة على المحتاجين فيندفع للعمل التطوعي بكل وُسْعه. وسأورد نماذج لأسماء الله الحسنى مبيناً معناها ومستخرجاً أثرها في أداء العمل التطوعي.

أولًا، وثانيًا: الرحمن، الرحيم:

الرحمن من أعظم أسماء الله تعالى وأخصها به، وهو أول اسم عرّفنا الله عليه في سورة الفاتحة وأتبعه بالرحيم، وقرن بينهما في القرآن الكريم عدة مرات، قال الله تعالى: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ ﴾[الفاتحة: ١ -٣]

وقد فرّق العلماء بين معنى الاسمين، فنقل ابن أبي حاتم(ت: ٣٢٧هـ) عن الضحاك(ت:١٠٢هـ) في قوله: "الرحمن الرحيم" قال: الرحمن بجميع خلقه، والرحيم بالمؤمنين خاصة[3]" قلت: إن اقتران اسمي" الرحمن والرحيم" في عدة

(١) فتح الباري لابن حجر العسقلاني، ١/ ١٠٦، ط١، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ.

(٢) سبل السلام، للصنعاني، ٢/٥٥٦ .

(٣) تفسير ابن أبي حاتم، عبد الرحمن الرازي، ١/٢٨.

مواضع يدل على فوائد عظيمة. يقول الشيخ عبد الرزاق البدر: "إن في هذين الاسمين دلالة على كمال الرحمة التي هي صفة الله وسعتها، فجميع ما في العالم العلوي والسفلي من حصول المنافع والمحابّ والمسار والخيرات من آثار رحمته، كما أن ما صرف عنهم من الآثار والنقم والمخاوف والأخطار والمضار من آثار رحمته..[1].

إن في اسم " الرحمن" من الرحمة الإلهية العظيمة التي تجلت آثارها ببعثة نبينا محمد ﷺخاتم النبيين وجعله رحمة للعالمين، فقال جل شأنه: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[الأنبياء: ١٠٧]، وقد ظهرت وتجلت رحمته ﷺ بالمدعوين وبالخلق كلهم فكانت الرحمة من معالم ودلائل نبوته ﷺ. ويؤخذ من هذا فائدة مهمة وهي صفة الرحمة التي يجب أن تنعكس على المؤمن فتعمر قلبه وتظهر على سلوكه فيرحم عباد الله ويرق لهم. وأعظم من انعكست عليه آثار رحمة الله هو رسوله ﷺ فإنه لما رفع إليه صبي ميت فاضت عيناه، فقال سعد بن عبادة: يا رسول الله، ما هذا؟ فقال: «هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرحماء[2]» قال ابن حجر رحمه الله :" فيه الترغيب في الشفقة على خلق الله والرحمة لهم والترهيب من قساوة القلب وجمود العين[3]."

---

(١) فقه الأسماء الحسنى، عبد الرزاق البدر، ص٨٤.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب قول النبي يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه،٧٩/٢، رقم(١٢٨٤).

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ١٥٨/٣،

وهكذا كل مسلم يجب أن يمتلأ قلبه رحمة للخلق فيساهم في تقديم ما استطاع لهم من نفع، وصرف ما استطاع من شر عنهم. وقد كان نبينا ﷺ أعظم إنسان حمل في قلبه الرحمة؛ بل هو ذاته وبعثته رحمة للعالمين لقوله جل شأنه: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾[الأنبياء: ١٠٧]

تطبيق نبوي على أثر أسماء الله الحسنى في العمل التطوعي عند نبينا محمدﷺ :

روى البخاري عن المنذر بن جرير، عن أبيه، قال: كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار، قال: فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار أو العباء، متقلدي السيوف، عامتهم من مضر، بل كلهم من مضر فتمعر وجه رسول اللهﷺ لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج، فأمر بلالاً فأذن وأقام، فصلى ثم خطب فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ﴾[النساء: ١] إلى آخر الآية، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النساء: ١] والآية التي في الحشر: ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ ﴾ [الحشر: ١٨] «تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره – حتى قال –ولو بشق تمرة» قال: فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت، قال: ثم تتابع الناس، حتى رأيت كومين من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل، كأنه مذهبة، فقال رسول الله ﷺ: «من سنّ في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها، وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنّ في

الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء[1]»[2].

قال النووي(ت:٦٧٦هـ): "وأما سبب سروره ﷺ ففرحاً بمبادرة المسلمين إلى طاعة الله تعالى وبذل أموالهم لله وامتثال أمر رسول الله ﷺ ولدفع حاجة هؤلاء المحتاجين وشفقة المسلمين بعضهم على بعض وتعاونهم على البر والتقوى[3]"

وقال رحمه الله:" قوله ﷺ: (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها) فيه الحث على الابتداء بالخيرات وسن السنن الحسنات والتحذير من اختراع الأباطيل والمستقبحات. وسبب هذا الكلام في هذا الحديث أنه قال في أوله

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، ٢/ ٧٠٤، رقم(١٠١٧)،

(٢) قال محققه محمد فؤاد عبد الباقي: "(مجتابي النمار) أي: لابسيها خارقين أوساطها، والنمار جمع نمرة وهي ثياب صوف فيها تنمير، وقيل هي كل شملة مخططة من مآزر الأعراب كأنها أخذت من لون النمر لما فيها من السواد والبياض. (العباء) جمع عباءة وعباية لغتان نوع من الأكسية (فتعمر) أي تغير. (يتهلل) أي يستنير فرحاً وسرورًا. (مذهبة) ذكر القاضي عياض وجهين في تفسيرهِ أحدهما معناه فضة مذهبة فهو أبلغ في حسن الوجه وإشراقه، والثاني شبهه في حسنه ونوره بالمذهبة من الجلود وجمعها مذاهب وهي شيء كانت العرب تصنعه من جلود وتجعل فيها خطوط مذهبة يرى بعضها إثر بعض. انظر: صحيح مسلم، ٧٠٤/٢ ، بتصرف يسير.

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ٧/ ١٠٣

فجاء رجل بصرة كادت كفه تعجز عنها فتتابع الناس وكان الفضل العظيم للبادي بهذا الخير والفاتح لباب هذا الإحسان[1].

قلت: هذا الحديث النبوي أصل عظيم في الاهتمام بالعمل التطوعي انطلاقاً من الرحمة النبوية بالمسلمين، ومنها مودته وبره ورأفته بالمحتاجين خاصة. وتظهر معالم هذه الرحمة والمودة والرأفة النبوية في الآتي:

أولًا: التأثر الشديد لنبينا محمد ﷺ لما رأى حال وفقر بعض المسلمين. يوضح هذا التأثر تغير ملامح وجهه الشريفﷺ ودخوله وخروجه من بيته وأمره بلالاً أن يؤذن ويقيم ليجمع المسلمين فيصلي ويخطب ويذكرهم باليوم الآخر ليحثهم على الصدقة مع ذكره مختلف أنواع الصدقات حتى رغّب ﷺ بشق تمرة.

ثانيًا: شدة فرحه ﷺ وإشراق وجهه الشريف لما رأى إقبال المسلمين بالصدقات وتجمع كومين من طعام وثياب مما يسد حاجة هؤلاء المحتاجين.

ثالثًا: تشجيع النبي ﷺ المسلمين على استحداث الوسائل العصرية والجديدة التي تناسب كل عصر من حيث:

الزمان والمكان والمتطوعين والمحتاجين والمساعدات المقدمة ووسائلها، فقد تكون مباشرة أو عن طريق هيئات وغيرها، ومما يناسب زماننا استحداث تطبيقات إلكترونية خاصة بالأعمال التطوعية تسهل على الناس أداءها.

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ٧/ ١٠٤.

رابعًا: أثر تجديد الوسائل والأساليب في حث المسلمين وتحفيزهم على تفريج كربات المحتاجين إلى مساعدة مالية أو بدنية أو نفسية وكذلك في تسهيل وصول المساعدات لمحتاجيها.

خامسًا: أنه ﷺ ربط السُنة المستحدثة بأجرها العظيم وهي جريان أجر كل من عمل بها لمن سنها وأحدثها، وهذا تحفيز عظيم من نبينا ﷺ لأصحاب الهمم والعقول للابتكار ونفع الأمة بما علمهم الله تعالى.

سادسًا: أصل مناسبة قولهﷺ:(من سنّ في الإسلام سنة حسنة..) في موضوع العمل التطوعي وتفريج كربات الفقراء مع الاستفادة منه في مجالات كثيرة من غير العبادات فهي وقفية لا اجتهاد ولا تجديد فيها.

لما يتفكر المسلم في اسم الله" الرحمن" وأن من يرحم الناس سيرحمه الرحمن تبارك وتعالى فإنه يندفع إلى عمل الخير ويتطوع لمساعدة المحتاجين مما يقدر عليه من مساعدة مالية أو بدنية أو معنوية، ومع الوقت تصير رحمة المسلم بالعباد سجية وخلقاً متأصلاً فتظهر آثاره رحمته بالخلق بجلاء وباستمرار ودون تكلف؛ فالرحمة شعار المسلم تظهر في سلوكه ومساعدته المحتاجين انطلاقاً من إيمانه بأسماء الله الحسنى.

ثالثًا: الرؤوف:

علمنا الله تعالى بعض أسمائه الحسنى ومنها أنه رؤوف فقال سبحانه:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٤٣] قال الطبري رحمه الله: "ويعني بقوله جل ثناؤه: (إن الله بالناس لرءوف رحيم): أن

الله بجميع عباده ذو رأفة. و"الرأفة"، أعلى معاني الرحمة، وهي عامة لجميع الخلق في الدنيا، ولبعضهم في الآخرة[1].

وقال السعدي:" "الرؤوف أي: شديد الرأفة بعباده فمن رأفته ورحمته بهم أن يتم عليهم نعمته التي ابتدأهم بها. ومن رأفته توفيقهم القيام بحقوقه وحقوق عباده[2]..

فيجب على المسلم المطيع والمحب لله تعالى أن تظهر عليه آثار اسم "الرؤوف" فيمتلئ قلبه رأفة على المؤمنين كافة وعلى أصحاب الحاجات خاصة فيتأثر بهم كما كان نبينا محمد ﷺ شديد التأثر عندما يرى أصحاب الفاقات والفقراء حتى يعرف ذلك في وجهه الشريف بما جعل الله في قلبه من الرأفة والرحمة، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[التوبة: ١٢٨] وهكذا المؤمن تبع لله تعالى ولرسوله ﷺ رؤوف بالمحتاجين رأفة تدفعه لتقديم شتى صنوف الخيرات إليهم ورفع البلاء عنهم، وهذا حظه من اسم الله الرؤوف.

الجبار:

---

(١) تفسير الطبري، ٣/ ١٧٠-١٧١.

(٢) تفسير أسماء الله الحسنى، عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي، ص ١٩٨، تحقيق عبيد العبيد، الجامعة الإسلامية، العدد ١١٢، المدينة المنورة.

الجبار من أسماء الله الحسنى، وقد ورد ضمن جملة من الأسماء الحسنى يقول الله تباركت أسماؤه: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[الحشر: ٢٣]

قال الطبري: قوله:"الجبار"يعني: المصلح أمور خلقه، المصرفهم فيما فيه صلاحهم[1].

وقال القرطبي(ت:٦٧١هـ) رحمه الله:" هذا الاسم يدل على عظمة الله وتقديسه عن أن تناله النقائص وصفات الحدث. وقيل: هو من الجبر وهو الإصلاح، يقال: جبرت العظم فجبر؛ إذا أصلحته بعد الكسر، فهو فعال من جبر إذا أصلح الكسير وأغنى الفقير.[2].

وقال السعدي(ت: ١٣٧٦هـ) رحمه الله: "الجبار للقلوب المنكسرة، وللضعيف العاجز، ولمن لاذ به، ولجأ إليه. وله ثلاثة معانٍ كلها داخلة باسمه الجبار فهو الذي يجير الضعيف، وكل قلب منكسر لأجله، فيجبر الكسير ويغني الفقير ويُيسر على المعسر كل عسير، ويجبر المصاب بتوفيقه للثبات، والصبر، ويعيضه على مصابه أعظم الأجر إذا قام بواجبها، ويجبر جبراً خاصاً قلوب الخاضعين لعظمته وجلاله، وقلوب المحبين بما يفيض عليها من أنواع كراماته، وأصناف المعارف والأحوال الإيمانية فقلوب المنكسرين لأجله جبرها

---

(١) تفسير الطبري، ٢٣ / ٣٠٤.

(٢) تفسير القرطبي، ١٨ / ٤٧.

دان قريب وإذا دعا الداعي فقال: "اللهم أجبرني، فإنه يريد هذا الجبر الذي حقيقته إصلاح العبد ودفع جميع المكاره عنه[1].

تطبيقات:

إذا كان من معاني اسم الله الجبار أنه يجبر الخلق ويصلح أحوالهم فإن حظ المسلم من هذا الاسم أن يساهم في مساعدة الآخرين وجبر خواطرهم وجبر كسرهم وألمهم بكلمة طيبة أو بمال متيسر عنده أو بفعل يحتاجونه أو بمساندة معنوية أو أي شيء يصلح به حال من احتاج مساعدة.

ومن المناسب هنا ذكر انعكاس اسم الجبار على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فإذا اشتهر عنه القوة في الحق فإنه كان جابراً للضعفاء رؤوفاً بهم طاعة لله ولرسوله ﷺ وحباً ورحمة للمسلمين؛ فقد روي أنه خرج في سواد الليل فرآه طلحة، فذهب عمر فدخل بيتاً ثم دخل بيتاً آخر، فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت فإذا بعجوز عمياء مقعدة، فقال لها: ما بال هذا الرجل يأتيك؟ قالت: إنه يتعاهدني منذ كذا وكذا، يأتيني بما يصلحني، ويخرج عني الأذى[2].

إن تطوع عمر رضي الله عنه بخدمة العجوز مثال تطبيقي على أثر أسماء الله الحسنى في إيمان المسلم وسلوكه بإصلاح حال الضعفاء ومساعدتهم، وفيه شاهد على سبق أمة الإسلام بالعمل التطوعي، وفيه منقبة واضحة لعمر رضي الله عنه.

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنى، عبد الرحمن آل سعدي، ص ١٧٧.

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني،١/ ٤٧، دار السعادة، ١٣٩٤- ١٩٧٤م، مصر.

البرّ: سمى الله نفسه البَّر، فقال سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ [الطور: ٢٨].

قال الزجاج(ت: ٣١١هـ):" والله تعالى بَرٌّ بخلقه في معنى أنه يحسن إليهم ويصلح أحوالهم[(١)]" وقال الخطابي:(ت: ٣٨٨هـ) البّر: هو العطوف على عباده، المحسن إليهم، عم ببرهِ جميع خلقه، فلم يبخل عليهم برزقه، وهو البر بأوليائه؛ إذ خصهم بولايته واصطفاهم لعبادته، وهو البر بالمحسن في مضاعفة الثواب له والبر بالمسيء في الصفح، والتجاوز عنه. وفي صفات المخلوقين: رجل بَر وبار إذا كان ذا خير ونفع،[(٢)]. قال الشيخ عبد الرزاق البدر:" البر: أي الذي شمل الكائنات بأسرها بره ومنّه وعطاؤه فهو مولي النعم واسع العطاء دائم الإحسان[(٣)].

إن من آثار اسم "البّر" على المسلم أنه يرحم جميع خلق الله المسلم وغير المسلم بل تتعدى رحمة المسلم إلى الحيوان فيرحمه ويطعمه وإلى الطير فيسقيه. قال الغزالي(ت:٥٠٥هـ) رحمه الله:" هو المحسن والبر المطلق هو الذي منه كل مبرة وإحسان. والعبد إنما يكون براً بقدر ما يتعاطاه من البر ولا سيما بوالديه وأستاذه وشيوخه[(٤)].

---

(١) تفسير أسماء الله الحسنى للزجاج، ص ٦١.

(٢) شأن الدعاء، حمد بن محمد الخطابي، ص٩٠، تحقيق: أحمد الدقاق، ط١، دار الثقافة العربية، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

(٣) فقه الأسماء الحسنى، عبد الرزاق البدر، ص ٢٢٦.

(٤) المقصد الأسنى للغزالي، ص ١٣٨.

تبين من أسماء الله الحسنى: الرحمن والرحيم والرؤوف والجبار والبر- وما تتضمنه من معانٍ جليلة – أنها مصدر للمسلم لكل خير وحافز قوي لرحمة أصحاب الحاجات من الفقراء وغيرهم ممن يحتاجون إلى المساعدة، فإيمان المسلم باسم الله "البَرّ" يقتضي مساعدة كل الخلائق والتطوع لنفعهم على اختلاف دينهم وحالهم ما لم تؤدي مساعدتهم إلى مضرة المسلمين، وهكذا بقية الأسماء الحسنى.

الأصل الثاني: طاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ

التأصيل: المسلم مأمور بطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ؛ ولذلك خاطبنا الله بنداء الإيمان كي نطيعه ونستجيب له سبحانه، خلافاً للكفار الذي لا يطيعون الله ولا يطيعون رسوله ﷺ. يقول تبارك وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾[الأنفال: ٢٠]

قال ابن عاشور:"يا أيها الذين آمنوا للتنبيه على أن الموصوفين بهذه الصفة من شأنهم أن يتقبلوا ما سيؤمرون به،...، فخليق بالإيمان أن يكون باعثاً على طاعة الله ورسوله. والطاعة امتثال الأمر والنهي. والتولي الانصراف، وهو مستعار هنا للمخالفة والعصيان[١]" وعليه فالطاعة علامة الإيمان وبرهانه، وجزاؤها الفلاح والسعادة في الدارين لقوله تعالى:﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾[النور: ٥٢] فينطلق المسلم إلى أداء الأعمال التطوعية طاعة لله تعالى الذي أمر بفعل الخير

(١) تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٩/ ٣٠٣.

ووعد عليه الفلاح والفوز؛ وعليه فقيام المسلم بالعمل التطوعي علامة وأثر على الإيمان بالله تعالى وبرسوله ﷺ.

حثنا الله تعالى على فعل الخير ورغب فيه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ﴾[البقرة: ١٨٤] يعد الترغيب الإلهي من أعمّ كلام الله تعالى الذي يؤصل للعمل التطوعي ويشجع المسلمين على التسابق إليه. و معلوم أن الآية السابقة نزلت في الصيام مع اختلاف العلماء في هذا التطوع، فذكر الطبري أقوال العلماء في التطوع ثم قال:" والصواب من القول في ذلك عندنا أن الله تعالى ذِكره عمّم بقوله:" فمن تطوع خيرًا"، فلم يخصص بعض معاني الخير دون بعض فإن جمع الصوم مع الفدية من تطوع الخير، وزيادة مسكين على جزاء الفدية من تطوع الخير[(١)] .

والأعم أن يقال: إن قول الله تعالى:﴿ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ﴾هو قاعدة قرآنية عامة تؤصل لكل خير دون تحديد نوعه أو غايته، لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما هو معلوم، والإسلام دين عالمي لأنه خاتم الشرائع السماوية، والله تعالى يريد للمؤمنين خير الدارين؛ وعليه فإن التطوع عامٌ لا يمكن حصره في مجال محدد بل هو من فضل الله تعالى أن من تطوع بفعلِ خير لنفسه –كعبادة نافلة مثلًا– أو تطوع لغيره –بجلب نفع ديني أو دنيوي– فهو خير لهذا المتطوع، وهذا وعدُ صدق من الله تعالى وترغيب لعمل الخيرات بأنواعها التي لا تحصى مع التبشير بثوابها لأنه أطاع

(١) انظر: تفسير الطبري، ٣/ ٤٤٣.

الله تعالى، والله أعلم. فهذه الآية الكريمة- والله أعلم - هي أعم آية تؤصل للعمل التطوعي.

ومن الآيات التي أصّلت للعمل التطوعي قوله جل شأنه:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ ﴾ [الحج: ٧٧]

قال الطبري:"وذلوا لربكم، واخضعوا له بالطاعة، الذي أمركم ربكم بفعله يقول:﴿ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ لتفلحوا بذلك، فتدركوا به طلباتكم عند ربكم[١]" في الجزء الأخير من الآية الكريمة :﴿ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ترغيب رباني للمؤمنين بفعل الخير على عمومه، فقد جاء الخير في الآية عامّاً لم يحدد نوعاً ولا مجالاً ولا جنساً ولا زماناً ولا مكانًا، وفي الآية فتح أبواب التطوع بالخير وتشجيع المؤمنين على أدائه ليكونوا من المفلحين الفائزين.

ويعرف الخير كما جاء عند الخازن(ت:٧٤١هـ) الذي ذكر رأي ابن عباس رضي الله عنه:" قال ابن عباس: صلة الأرحام ومكارم الأخلاق، وقيل فعل الخير ينقسم إلى خدمة المعبود الذي هو عبارة عن التعظيم لأمر الله تعالى وإلى الإحسان الذي هو عبارة عن الشفقة على خلق الله، ويدخل فيه البر

(١) تفسير الطبري، ١٨/ ٦٨٨.

والمعروف والصدقة وحسن القول وغير ذلك من أعمال البر، ﴿لَعَلَّكُمْ تفْلِحُونَ﴾ يعني لكي تسعدوا وتفوزوا بالجنة[1].

تطبيقات: ورد في القرآن الكريم عدة أمثلة على ربط طاعة الله تعالى بفعل الخيرات وربط العمل التطوعي بالعقيدة. ومن هذه الآيات قول ربنا تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾[المؤمنون: ٥٧-٦١]

تضمنت الآيات الكريمات جملة من صفات المؤمنين وأفعالهم التي مدحهم الله لأجلها ومنها فضيلة سبقهم ومسارعتهم في الخيرات التي يعد العمل التطوعي جزءاً منها. ويلاحظ أن الآيات الكريمة قرنت بين العقيدة والعمل فتضمنت صفات المؤمنين: الإيمان بآيات الله تعالى وعدم الشرك به سبحانه، كما تضمنت أعمال القلوب وأعظمها خشية الله جل جلاله إضافة إلى المسارعة في الخيرات على عمومها.

قال السعدي رحمه الله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ أي: في ميدان التسارع في أفعال الخير، همّهم ما يقربهم إلى الله، وإرادتهم مصروفة فيما ينجي من عذابه، فكل خير سمعوا به أو سنحت لهم الفرصة إليه انتهزوه وبادروه، قد

(١) تفسير الخازن، ٣/ ٢٦٥، تحقيق: محمد علي شاهين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ.

نظروا إلى أولياء الله وأصفيائه، أمامهم، ويمنة، ويسرة، يسارعون في كل خير، وينافسون في الزلفى

عند ربهم، فنافسوهم[١].

ومما ورد في طاعة الرسول ﷺ في أداء العمل التطوعي تسابق الصحابة رضي الله عنهم في تقديم ما تيسر من طعام وثياب في قصة حديث" من سن في الإسلام سنة حسنة". وتقدمت قصتهم مفصلة[٢]

ومما يؤكد أهمية العمل التطوعي وأنه باب عظيم يدل على إيمان المسلم وطاعته ربه تعالى وطاعته نبيه ﷺ ويورث المسلم حب الله له وهي أجل الغايات وأسمى مقاصد المؤمن قول رسول الله ﷺ: «أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة أو تقضي عنه دينًا، أو تطرد عنه جوعًا، ولئن أمشي مع أخ لي في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد شهراً في مسجد المدينة ، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه؛ ملأ الله قلبه رجاءً يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يثبتها له ثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام[٣].

---

(١) تفسير السعدي، ص٥٥٤.

(٢) انظر صفحة ٩ .

(٣) الروض الداني(المعجم الصغير)، سليمان بن أحمد الطبراني، ٢/١٠٦، رقم(٨٦١)، تحقيق: محمد شكور أمرير، ط١، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، عمان، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م. وقال الالباني: حسن. انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته،١/ ٩٥،رقم (١٧٦)، المكتب الإسلامي، بدون تفاصيل.

يظهر مما تقدم أن المسلم يتطوع بفعل الخيرات انطلاقاً من طاعته لله تعالى ولرسولهﷺ ، وهذا التطوع شاهد على الإيمان، ففعل الخيرات علامة على إيمان فاعلها لأنه مطيع لله ولرسولهﷺ. كما أنه سبب مهم لحب الله تعالى للعبد.

الأصل الثالث: الاقتداء بالأنبياء عليهم السلام وبالصالحين وفيه

أولًا: الاقتداء بالأنبياء عليهم السلام

التأصيل: تؤصل آيات القرآن الكريم للعمل التطوعي من خلال الاقتداء بالأنبياء والمرسلين الذين يعد الإيمان بهم الركن الرابع من أركان الإيمان، فالمسلم يؤمن بالرسل عليهم السلام، وبأن الله اصطفاهم على العالمين وكرمهم بالرسالة وأنهم صفوة الخلق. قال الله تعالى: ﴿ **ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥** ﴾[البقرة: ٢٨٥] وقد رفع الله شأن أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام وعلمنا كثيراً من الخيرات التي فعلوها والتي أكدها الله تعالى عدة مرات وأثنى عليهم لأجل فعلهم لها ومسارعتهم فيها. يقول جل جلاله:﴿ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ٧٣ ﴾[الأنبياء: ٧٣].

وقد أمر الله نبيه محمداً ﷺ أن يقتدي بهدي الأنبياء عليهم الصلاة السلام وأمته تابعة له في هذا الاقتداء المبارك، فقد سمّى الله تعالى في سورة

الأنعام ثمانية عشر نبيًّا من أنبيائه عليهم الصلاة والسلام من آية[٨٤ -٩٠] ثم أمر خاتم أنبيائه ﷺ بالاقتداء بهداهم فقال جل شأنه:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾[الأنعام: ٩٠].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فبالعمل الذي عملوا، وبالمنهاج الذي سلكوا، وبالهدى الذي هديناهم والتوفيق الذي وفقناهم" اقتده" يا محمد، أي: فاعمل وخذ به واسلكه فإنه عملٌ لله فيه رضًا، ومنهاجٌ من سلكه اهتدى". ونقل بعدها عن ابن عباس رضي الله عنه قوله:" ثم قال: في الأنبياء الذين سماهم في هذه الآية فبهداهم اقتده"[١]

قال القرطبي رحمه الله:" احتج بعض العلماء بهذه الآية على وجوب اتباع شرائع الأنبياء فيما عدم فيه النص[٢]" وقال ابن كثير(ت:٧٧٤هـ) رحمه الله: ﴿ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾أي اقتد واتبع، وإذا كان هذا أمراً للرسول ﷺ فأمته تبع له فيما يشرعه لهم ويأمرهم به[٣]"

بما أن الأنبياء السابقين قدوة لنبينا محمد ﷺ ولأمته فإنه يؤخذ من تطوعهم القدوة والأساس للعمل التطوعي، والمسلم يجدد إيمانه ويقوي عقيدته بالإيمان بالرسل السابقين وبخاتمهم صلى الله وسلم عليهم-كلما أقدم على العمل التطوعي لأنه مقتد بأنبياء الله ورسله فهم قدوة حسنة حيث سارعوا

---

(١) تفسير الطبري، ١١/٥١٩- ٥٢٠.

(٢) تفسير القرطبي، ٧/ ٣٥ .

(٣) تفسير ابن كثير،٣ / ٢٩٩.

إلى فعل الخيرات فنالوا ثناء الله عليهم يقول جل شأنه: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ ۖ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾[الأنبياء: ٧٣] قال النسفي رحمه الله:" وهي جميع الأعمال الصالحة[١]

إن الأعمال التطوعية جزء من الخيرات التي أوحى الله للأنبياء فعلها مع ملاحظة أنها قدمت على الصلاة والزكاة أهم أركان العبادة في جميع الشرائع، ولعل ذلك تنبيهاً على أهمية الأعمال التطوعية ولخيرها المتعدي إلى الغير، والله أعلم. وهذا كله يحفز المسلم للعمل التطوعي اقتداءً بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

تطبيقات: فيما يأتي أمثلة على العمل التطوعي الذي تطوع به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

أولًا: تطوع إبراهيم عليه السلام

من نماذج الخيرات التي تطوع الأنبياء عليهم السلام بفعلها نموذجٌ خلدهُ الله تعالى في القرآن الكريم وهو إحسان إبراهيم عليه السلام للضيوف والمبالغة في ذلك، وقد ذُكر أنه أول من سنّ القِرى[٢]" وهو إكرام الضيف. قصّ علينا ربنا تبارك وتعالى نبأ المكرمين ضيوف خليله إبراهيم، وكانوا من الملائكة عليهم السلام، فجاؤوا على هيئة بشر فلم يعرفهم فقدم لهم عجلاً مشويّاً

(١) انظر: تفسير النسفي، ٢/ ٤١٣.

(٢) تفسير التحرير والتنوير، ٢٦/ ٣٥٨.

يقول تعالى: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًاۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[الذاريات: ٢٤ – ٢٧].

قال ابن عادل الحنبلي:" سماهم مكرمين: ..لأن إبراهيم عليه السلام أكرمهم بأن عجّل قراهم، وأجلسهم في أكرم المواضع ...، وقيل: سماهم مكرمين لأنهم كانوا ضيف إبراهيم عليه السلام، وكان إبراهيم أكرم الخليقة، وضيف الكرام مكرمون. وعن مجاهد: لأن إبراهيم عليه السلام خدمهم بنفسه[١].

قلت: هذا التطوع من أبي الأنبياء عليه السلام يؤصل للعمل التطوعي لما اشتهر عنه من إكرام الضيف. ويظهر تطوع إبراهيم عليه السلام وحسن أخلاقه بأن أضيافه غرباء ليسوا أقارب ولا أصدقاء وليس له عندهم فائدة عاجلة تعود عليه، ومع هذا أكرمهم وبالغ في ضيافتهم بأن قدم لهم عجلاً مشوياً وخدمهم بنفسه. والتطوع بالخير أصل وسجية عند الأنبياء عليهم السلام فهم معدن الأخلاق وروادها.

ثانيًا: تطوع يوسف عليه السلام

تطوع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كان عن سجية وطبع أصيل لا عن تكلف؛ ولذا ظهر تطوعهم في أحلك الظروف وأصعبها ومثال هذا: ما عرف من تطوع يوسف عليه السلام داخل السجن حتى شهد له صاحبا الرؤيا بالإحسان، يقول الله عن ذلك: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ

(١) تفسير اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الحنبلي، ١٨ / ٨١.

أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾[يوسف:٣٦]

ذكر أهل التفسير عدة أعمال خيرية تطوع يوسف عليه السلام بفعلها حتى عُرف بأنه من المحسنين. قال الطبري:" اختلف أهل التأويل في معنى" الإحسان" الذي وصف به الفتيان يوسف. فقال بعضهم: أنه كان يعود مريضهم، ويعزي حزينهم، وإذا احتاج منهم إنسان جَمَع له[١]" وقال ابن كثير رحمه الله:" وكان يوسف عليه السلام، قد اشتهر في السجن بالجود والأمانة وصدق الحديث، وحسن السمت وكثرة العبادة، صلوات الله عليه وسلامه، ومعرفة التعبير والإحسان إلى أهل السجن وعيادة مرضاهم والقيام بحقوقهم[٢]..

قلت: من النادر أن يجود إنسانٌ بأعمال تطوعية كثيرة في سجنه إلا أن يكون رجلاً هيأهُ الله للنبوة وأعبائها.

ثالثًا: تطوع موسى عليه السلام

من الأمثلة على أن التطوع ومساعدة المحتاجين يصدر من الأنبياء عليهم السلام سجية لا تكلفاً تطوع موسى عليه السلام بعملين: **الأول: تطوعه عليه السلام بالسقي للفتاتين الضعيفتين**، وهو تطوع نبيل خلدهُ الله تعالى في كتابه؛ إذ يقول سبحانه وتعالى:﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي

(١) تفسير الطبري، ١٦/ ٩٨.

(٢) تفسير ابن كثير، ٤/ ٣٨٧-٣٨٨.

﴿حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ٢٣ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ٢٤﴾[القصص: ٢٣-٢٤]

قال السعدي رحمه الله:" أي: قد جرت العادة أنه لا يحصل لنا سقي حتى يصدر الرعاء مواشيهم، فإذا خلا لنا الجو سقينا، ﴿ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ﴾ أي: لا قوة له على السقي، فليس فينا قوة نقتدر بها، ولا لنا رجال يزاحمون الرعاء. فرقّ لهما موسى عليه السلام ورحمهما ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ﴾ غير طالب منهما الأجرة، ولا له قصد غير وجه الله تعالى، فلما سقى لهما وكان ذلك وقت شدة حر وسط النهار بدليل قوله: ﴿ ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ ﴾ مستريحاً لذلك الظلال بعد التعب.﴿ فَقَالَ ﴾ في تلك الحالة مسترزقاً ربه ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ﴾ أي: إني مفتقر للخير الذي تسوقه إليَّ وتيسره لي. وهذا سؤال منه بحاله، والسؤال بالحال أبلغ من السؤال بلسان المقال، فلم يزل في هذه الحالة داعياً ربه متملقا(١)"

وبالرغم من تعب موسى عليه السلام وظروفه النفسية والبدنية التي كان يعانيها بسبب الهرب من فرعون وجنده ومن الجوع إلا أنه تطوع بقوته البدنية لمساعدة الفتاتين دون مقابل، وفي هذا تعليم للمؤمنين لمساعدة المحتاجين وتقديم العون لهم من غير أجر، وهذا أصل في الترغيب في العمل التطوعي،كما أنه يتضمن توسلاً ضمنيّاً إلى الله تعالى بالعمل الصالح وهو

(١) تفسير السعدي ، ص ٦١٤ .

مساعدة الفتاتين؛ ولذلك دعا الله بعد السقي مباشرة عندما استراح في الظل، يقول تعالى: ﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ﴿٢٤﴾ ﴾ [القصص: ٢٣- ٢٤]

الثاني: تطوع موسى عليه السلام بجهد عامين كاملين(١)

إنه الأجل الثاني الذي جاد موسى عليه السلام بالتطوع به وهو عمل كريم من رسول كريم أنبأنا به رسولنا الكريم محمد ﷺ، وهو أنه عليه الصلاة والسلام عمل أجيراً زيادة على الواجب لعامين كاملين. وتطوع موسى عليه السلام لعامين أجيراً أعظم وأشق بكثير من مجرد السقي للفتاتين مرة واحدة.

ورد في الآيات الكريمة الاتفاق بين موسى عليه السلام ووالد زوجته، قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ﴿٢٨﴾ ﴾[القصص: ٢٧- ٢٨] يظهر في الآيات أن موسى عليه السلام وافق على مهر زوجته إحدى الفتاتين بخدمة والدها ثمانية حجج أي ثمانية أعوام وإن زادها لتكون عشراً فتكرماً منه لا واجبًا. قال ابن كثير :"وقوله تعالى إخباراً عن

(١) لم أقف على أحد - ممن كتبوا عن العمل التطوعي عند الأنبياء عليهم السلام- نص على التطوع الثاني لموسى عليه السلام وهو تطوعه بخدمة عمه عامين إضافيين، وكل تركيز الباحثين كان على تطوعه بالسقي للفتاتين فقط.

موسى عليه السلام: ﴿ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ يقول: إن موسى قال لصهره: الأمر على ما قلت من أنك استأجرتني على ثمان سنين، فإن أتممتُ عشراً فمن عندي، فأنا متى فعلت أقلهما فقد برئت من العهد، وخرجت من الشرط؛ ولهذا قال: ﴿ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ ﴾ أي: فلا حرج علي مع أن الكامل -وإن كان مباحاً لكنه فاضل من جهة أخرى..، هذا وقد دلّ الدليل على أن موسىﷺ إنما فعل أكمل الأجلين وأتمهما[١]" قلت: الدليل ما رواهُ البخاري عن سعيد بن جبير(ت:٩٥هـ) قال: سألني يهودي من أهل الحيرة أي الأجلين قضى موسى، قلت: لا أدري، حتى أقدم على حبر العرب فأسأله، فقدمت، فسألت ابن عباس، فقال: «قضى أكثرهما، وأطيبهما إن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قال فعل»[٢]" فالحمد لله الذي خلد في القرآن تطوع موسى عليه السلام اهتماماً بشأنه وترغيباً بالاقتداء به.

(١) تفسير ابن كثير، ٦/ ٢٣٠-٢٣١.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب من أمر بإنجاز الوعد، ٣ / ١٨١. رقم(٢٦٨٤).

رابعًا: تطوع الخضر عليه السلام[1]

تطوع الخضر عليه السلام في المساعدة من غير أن تُطلب منه ومن غير عوض. وفي هذا تعليم لموسى عليه السلام وللناس جميعًا. وفي قصته فوائد جمة في التأصيل للعمل التطوعي إيماناً بالأنبياء عليهم السلام واقتداء بهم.

يقول الله تعالى قاصّاً خبر الخضر مع موسى عليهما السلام: ﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾

(١) اختلف في نبوة الخضر عليه السلام، والصحيح أنه نبي. انظر مثلًا: فتح الباري لابن حجر،١/ ٢١٩ -٢٢٠.

﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾ [الكهف: ٧١-٨٢]

يظهر في القصة الحديث عن ثلاثة أعمال عملها الخضر عليه السلام: الأول والثالث منها كانا أعمالاً تطوعية؛ فأما الأول: فإنه صنع معروفاً من أجل إنقاذ السفينة من ملِك ظالم، وأما الثالث فإنه تطوع فأقام الجدار لليتيمين ليحفظ لهما الكنز حتى يكبرا. ويظهر تطوع الخضر عليه السلام بها من خلال إجابته عن استغراب موسى عليه السلام وعدم صبره على هذا التطوع. قال ابن عاشور(ت:١٣٩٣هـ) رحمه الله:" لو شئت لاتخذت عليه أجراً، أي كان في مكنتك أن تجعل لنفسك أجراً على إقامة الجدار تأخذه ممن يملكه من أهل القرية ولا تقيمه مجاناً لأنهم لم يقوموا بحق الضيافة ونحن بحاجة إلى ما ننفقه على أنفسنا،...، وهذا اللوم يتضمن سؤالاً عن سبب ترك المشارطة على إقامة الجدار عند الحاجة إلى الأجر، وليس هو لوماً على مجرد إقامته مجانا، لأن ذلك من فعل الخير وهو غير ملوم(١)"

لامَ موسى الخضرَ -عليهما السلام- على تطوعه ببناء الجدار مع حاجتهما إلى المال لكنّ الخضر عليه السلام أعلم من موسى عليه السلام بهذه المسألة فكان فعله صواباً وتعليماً لموسى عليه السلام وللمؤمنين إلى يوم القيامة بالحث على مساعدة المحتاجين؛ فالحمد لله الذي علّم الخضر عليه السلام كيف يتطوع بالعمل

---

(١) تفسير التحرير والتنوير، ١٦/ ٩.

التطوعي- لقضاء حاجات اليتامى والمساكين - ثم خلدهُ في كتابه العظيم ليكون قدوة حسنة للمؤمنين.

خامسًا: تطوع نبينا محمد ﷺ بالخيرات

التأصيل: يقتضي الشق الثاني من الشهادتين- شهادة أن محمداً رسول الله- التأسي به في كل شؤونهﷺ، فالاقتداء علامة الإيمان والمحبة والاتباع، قال الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[الأحزاب: ٢١]

ويعد كثرة العمل التطوعي من دلائل النبوة لأنها جزء من الأخلاق الفاضلة والسير الكريمة للأنبياء عليهم السلام. وتقدم نماذج عدة على تطوع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بفعل الخيرات؛ ولما كان نبينا محمد ﷺخاتم النبيين فقد كان حظه في التطوع أعظم من إخوانه الأنبياء السابقين عليهم السلام.

قال الشيخ أبو بكر الجزائري(ت: ١٤٣٩هـ): رحمه الله:" قوله تعالى:﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ يأمر رسوله ﷺ أن يقتدي بأولئك الأنبياء المرسلين في كمالاتهم كلها حتى يجمع ﷺ كل كمال فيهم فيصبح بذلك أكملهم على الإطلاق. وكذلك كان[١]"

كان تطوع نبينا محمد ﷺ بأعمال الخير بعد النبوة وقبلها، ولا غرابة في ذلك فالله تعالى يوفق أنبياءه لعمل الخيرات كما وفق إبراهيم ويوسف وموسى

---

(١) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى الجزائري، ٢/ ٨٨، ط٥، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

عليهم السلام. وقد شهدت أمنا خديجة رضي الله عنها بكثرة تطوع نبينا محمدﷺ بالخيرات مما جعلها تستدل بذلك على نبوته ﷺ حتى أنها طمأنته ﷺلما خشي على نفسه عندما نزل عليه جبريل عليه الصلاة والسلام أول مرة في غار حراء فصارحها بذلك قائلاً:" أي خديجة، ما لي لقد خشيت على نفسي»، فأخبرها الخبر، قالت له خديجة:" كلا، أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبدًا، فوالله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكلَّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق(1)"(2)

هذه نماذج من العمل التطوعي عند نبينا محمدﷺ قبل النبوة، وهي من إرهاصات نبوته. أما بعد البعثة النبوية فسيرته ﷺ مليئة بفعل الخيرات وحياته كانت رحمة وعطفاً على الضعفاء والمحتاجين وجلّ ماله كان صدقة على الفقراء والسائلين فنجد أن نبينا ﷺ فاق جميع إخوانه الأنبياء في العمل التطوعي،صلى الله عليهم جميعا.

---

(١) انظر: صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب "ما ودعك ربك وما قلى"، ٦/ ١٧٣، رقم (٤٩٥٣). وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ، ١/ ١٣٩رقم(١٦٠).

(٢) قال النووي:" وأما الكلَّ فهو بفتح الكاف وأصله الثقل ومنه قوله تعالى: "وهو كَلٌّ على مولاه" ويدخل في حمل الكل الإنفاق على الضعيف واليتيم والعيال وغير ذلك وهو من الكلال وهو الإعياء، وأما قولها وتكسب المعدوم فهو بفتح التاء هذا هو الصحيح المشهور، وأما معنى تكسب المعدوم فمن رواه بالضم فمعناه تكسب غيرك المال المعدوم أي تعطيه إياه تبرعاً، وقيل معناه تعطى الناس ما لا يجدونه عند غيرك من نفائس الفوائد ومكارم الأخلاق". انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى بن شرف النووي، ٢/ ٢٠١ بتصرف يسير، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٣٩٢هـ.

نخلص مما سبق إلى أن الأعمال التطوعية أمر الله ووحيه إلى أنبيائه عليهم الصلاة والسلام الذين سارعوا إلى فعلها فنالو رضا وثناء الله عليهم. كما أن فعل الأعمال التطوعية سجية عند الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فيفعلونها من غير تكلف فهم اصطفاء العليم الخبير الذي يقول: ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، ويستنتج مما تقدم أن فعل الأنبياء عليهم السلام أصل في العمل التطوعي والمسلم مخاطب -تبعاً لنبيه ﷺ- بأن يقتدي بهم، فينطلق المسلم لفعل الأعمال الخيرية اقتداء بالأنبياء وبنبينا محمد صلى الله وسلم عليهم جميعًا فيجدد إيمانه بهم جميعًا كلما تطوع بشيء.

ثانيًا: الاقتداء بالصالحين في العمل التطوعي

التأصيل: أنبأنا الله تعالى في القرآن الكريم عن صالحين ليسوا أنبياء لكنهم تطوعوا في فعل الخير ومساعدة غيرهم دون مقابل، فكانوا قدوة حسنة للمؤمنين حتى قيام الساعة بدليل أن المسلم يقرأ بفاتحة الكتاب وفيها دعاء الله تعالى أن يهديه ويوفقه لسلوك سبيل وصراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والصالحين قال تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة:٥- ٧] وفي آية أخرى فسرت من هم الذين أنعم الله عليهم يقول تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [النساء: ٦٩] فتبين أن المسلم

يدعو الله ويجتهد بعمله ليكون متأسياً بالنبيين والصديقين والصالحين، ولذلك فإن من فوائد ذكر الصالحين من غير الأنبياء في القرآن الكريم أن يقتدي بهم المسلم إلا في شيء يخالف شريعة نبينا ﷺ، وللصالحين أعمال خيرية عديدة أنبأنا الله تعالى بها:

تطبيقات: قصّ الله جل شأنه من نبأ الصالحين وبعض ما تطوعوا به في كتابه العزيز، ومن ذلك:

تطوع ذي القرنين: يقول الله تعالى:﴿ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ﴾[الكهف: ٩٤-٩٥]

مكّن الله تعالى لذي القرنين بالمال والقوة. ويظهر في الآية الكريمة امتناعه عن أخذ العوض والمال مقابل فكره وجهده البدني ببناء ردم كبير يحمي هؤلاء الضعفاء من عدوهم مع عرضهم المال عليه وعلمه باضطرارهم لدرء عدوهم إلا أن إيمانه بالله تعالى وشكره إياه وحبه للخير دفعه للتطوع بحمايتهم ودفع فساد يأجوج ومأجوج عنهم فبنى لهم ردماً منيعاً من غير مقابل.

قال الشيخ أبو بكر الجزائري رحمه الله:" من هداية الآيات: فضيلة التبرع بالجهد الذاتي والعقلي، ومشروعية التعاون على ما هو خير، أو دفع للشر[1].

---

(١) أيسر التفاسير، جابر بن موسى الجزائري، ٣/ ٢٨٧.

يتضح مما سبق أن فعل العمل التطوعي سنة الصالحين وخلقهم النبيل الذي خلده الله في القرآن الكريم تنبيهاً لشرفه وتعليماً للمؤمنين للاقتداء بهم وترغيباً بفضل الله العظيم وليكونوا رفقاءهم في الجنة.

الأصل الرابع: الإيمان باليوم الآخر

يعد الإيمان باليوم الآخر أحد أركان الإيمان الستة المقررة في الكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤ ﴾[البقرة: ٤] وتقوم عبادات المسلم وأعماله فعلاً وتركاً طيلة حياته رجاء ما في هذا اليوم العظيم من رضوان الله ورحمته وجنته والخوف منه تعالى ومن النار التي حذرنا منها. وجاءت العديد من التوجيهات النبوية التي ترغب بالعمل التطوعي مقترنة بالأجر العظيم يوم القيامة، وبعضها بالنجاة مرتبط من النار ومن أهوال القيامة؛ وعليه فإن قيام المسلم بأي عمل تطوعي إنما هو أثر جلي لصحة عقيدته بالإيمان بالله تعالى وباليوم الآخر وما أعد الله فيه للعاملين، فإيمان المسلم الراسخ بهذا اليوم العظيم يدفعه ويحفزه لقضاء حوائج الخلق وتقديم المساعدة لهم ثقة بوعد الله تعالى.

تطبيقات: من الأمثلة على ربط العمل التطوعي بالآخرة قوله ﷺ:"«من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب الآخرة، ومن ستر على مسلم، ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد، ما كان العبد في عون أخيه[1]»

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الديات، باب ما جاء في الستر على المسلم،٤/٣٤، رقم(١٤٢٥).

قال النووي رحمه الله: ومعنى نفّس الكربة: أزالها، وفيه فضل قضاء حوائج المسلمين ونفعهم بما تيسر من علم أو مال أو معاونة أو إشارة بمصلحة أو نصيحة وغير ذلك وفضل الستر على المسلمين[١]"

وقال الشيخ محمد علي الأثيوبي(ت:١٤٤٢هـ) رحمه الله:" قوله:(ما كان العبد) مدة كون العبد مشغولاً في عون أخيه بأي وجه كان، من جلب نفع، أو دفع ضر. (في عون أخيه)؛ أي: مشغولاً بقضاء حاجة أخيه المسلم، وفيه إشارة إلى فضيلة عون الأخ على أموره، والمكافأة عليها بجنسها من العناية الإلهية، سواء كان بقلبه أو بدنه أو بهما؛ لدفع المضار أو جلب المسار؛ إذ الكل عون[٢].

ومن أعظم ما ورد في ثواب العمل التطوعي وربطه بالآخرة قوله ﷺ:"أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا» وقال بإصبعيه السبابة والوسطى[٣]"

قال ابن عثيمين(ت:١٤٢١هـ) رحمه الله:" يعني أن كافل اليتيم مع النبي ﷺ في الجنة قريب منه، وفي هذا حث على كفالة اليتيم، وكفالة اليتيم هي القيام بما يصلحه في دينه ودنياه؛ بما يصلحه في دينه من التربية والتوجيه والتعليم وما أشبه ذلك، وما يصلحه في دنياه من الطعام والشراب والمسكن[٤]..

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ١٧/ ٢١.

(٢) البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، ٤٢ / ١٧٣، محمد بن علي بن آدم الأثيوبي، ط١، دار ابن الجوزي، ١٤٢٦- ١٤٣٦.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب فضل من يعول يتيما، ٩/٨، رقم (٦٠٠٥).

(٤) شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح عثيمين، ٣/ ٩٧.

ومن أجمع الأحاديث التي تبعث المسلم على قضاء حاجات المسلمين قول رسول الله ﷺ: «أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة أو تقضي عنه دينًا، أو تطرد عنه جوعًا، ولئن أمشي مع أخ لي في حاجة أحب إلي من أن أعتكف في هذا المسجد شهراً في مسجد المدينة، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه؛ ملأ الله قلبه رجاءً يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يثبتها له ثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام[1].

ومن الأحاديث النبوية التي ربطت العمل التطوعي بالنجاة من أهوال اليوم الآخر قوله ﷺ :"اتقوا النار ولو بشق تمرة[2]" قال ابن حجر رحمه الله:" في الحديث الحث على الصدقة بما قل وما جل، وأن لا يحتقر ما يتصدق به، وأن اليسير من الصدقة يستر المتصدق من النار[3]"

يلاحظ تخفيف النبي ﷺ عن أمته وحثهم للمبادرة ولو بالنفقة المتيسرة أو بالجهد المستطاع ليتقوا النار؛ فالمسلم الذي رسخت في قلبه عقيدة تعظيم اليوم الآخر والاستعداد له والاهتمام بالنجاة من ناره وأهواله والفوز بنعيمه وجنته تجده يسارع في فعل ما يغفر الذنب ويرضي الرب جل جلاله بالعمل الخيّر فيطعم فقيراً ويسد شيئًا من معاناة محتاج. ويستفاد من الحديث أن يبادر

---

(١) الروض الداني(المعجم الصغير)، سليمان بن أحمد الطبراني، ١٠٦/٢، رقم(٨٦١). وقال الألباني: حسن. انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته،١/ ٩٥،رقم (١٧٦)، المكتب الإسلامي، بدون تفاصيل.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب اتقوا النار ولو بشق تمرة، ٦٩٩/٢، رقم(١٤١٧).

(٣) فتح الباري، علي بن حجر العسقلاني، ٣ / ٢٨٤.

المسلم لمساعدة المحتاجين: مالاً أو جهداً أو فكراً أو اقتراحاً يقدمه يدل به على خير أو يمنع به شراً.

ويستفاد مما تقدم ربط النبي ﷺ النجاة من النار يوم القيامة بالعمل التطوعي كإطعام المحتاجين ولو باليسير جدًّا وربط ثواب الآخرة به؛ وهذا كله يرسخ عقيدة المسلم باليوم الآخر ويعظم استعداده له.

الأصل الخامس: المفهوم الواسع للعبادة في الإسلام

التأصيل: العبادة هي العلاقة الطبيعية بين المسلم وربه تبارك وتعالى. وأمر الله الناس بعبادته وحده لأنه ربهم وخالقهم وهم بهذه العبادة يفوزون بالجنة ويتقون النار، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾[البقرة: ٢١]

وأجمع تعريف للعبادة أنها:" اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، فالصلاة والزكاة والصيام والحج وصدق الحديث...، والإحسان للجار واليتيم والمسكين وابن السبيل والمملوك من الآدميين والبهائم والدعاء والذكر والقراءة وأمثال ذلك من العبادة..."[1].

للعبادة مفهومان: مفهوم ضيق ومفهوم واسع فالمفهوم الضيق: ما يتبادر إلى أذهان العامة من العبادات المفروضة كالصلاة والصيام أو النافلة كقراءة القرآن الكريم والذكر والصدقة، وحصر العبادة بمثل هذه الأنواع من العبادات يعد فهماً ناقصًا لحقيقة العبادة. وأما المفهوم الواسع والصحيح للعبادة فهو

---

(١) العبودية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ص٤٤، تحقيق محمد الشاويش، ط ٧، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٥هـ-٢٠٠٥م.

كل ما يفعله المسلم من أعمال يحبها الله تعالى فالصلاة عبادة، والإصلاح بين المتخاصمين عبادة، وإزالة الأذى من الطريق عبادة، والمباحات عبادة كالأكل والنوم والوظائف عبادة لأنها سعي في تحصيل الرزق للمسلم ومن يعول، والامتناع عن المحرم والشر عبادة. ولو أدرك المسلمون هذا الشمول في مفهوم العبادة لأتقن كل عامل عمله وزاد الاهتمام بالعمل التطوعي في حياتهم اليومية.

فالمراد أن المسلم يهتم بالأعمال التطوعية ويبادر في أدائها لإيمانه بأنها عبادة يتقرب بها إلى ربه سبحانه بل ربما تكون مساعدة الناس وقضاء حوائجهم أفضل أجراً من بعض العبادات من النوافل نظراً لنفعها المتعدي إلى الغير، وهذا ما سيظهر في التطبيقات التالية.

التطبيقات:

من الأدلة على المعنى الواسع للعبادة أن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال: مر على النبيﷺ رجل، فرأى أصحاب رسول الله من جلده ونشاطه، فقالوا: يا رسول الله! لو كان هذا في سبيل الله! فقال رسول الله ﷺ:" إن كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه

يعفها فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى رياءً ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان[١].

في الحديث تصحيح من نبينا ﷺ لمفهوم العبادة وتوسيعه من المعنى الضيق كما هو عند العامة إلى المعنى الشامل، فبيّن ﷺ أن سعي المسلم في وظيفته للتكسب والإنفاق على نفسه وعياله ووالديه هو في سبيل الله، وإذا كان كذلك فهو في عبادة طيلة يومه وطيلة أعوام عمله.

ومن الأدلة على شموليه معنى العبادة وخاصة المتعلقة بنفع الغير كالأعمال التطوعية ما روي عن أنس رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في السفر، فمنا الصائم ومنا المفطر، قال: فنزلنا منزلاً في يوم حار، أكثرنا ظلاً صاحب الكساء، ومنا من يتقي الشمس بيده، قال: فسقط الصُوام، وقام المفطرون وضربوا الأبنية وسقوا الركاب، فقال رسول الله ﷺ ((ذهب المفطرون اليوم بالأجر[٢]."

قال المناوي رحمه الله:" وهو أجر ما فعلوه من خدمة الصائمين بضرب الأبنية والسقي وغير ذلك لما حصل منهم النفع المتعدي..[٣].

---

(١) معجم الطبراني، باب الكاف، ١٩/ ١٢٩، رقم(٢٨٢)، قال الألباني: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، انظر: صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الألباني، ٢/ ٤٢٤، رقم(١٩٥٩) ط١، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية. ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب أجر المفطر في السفر إذا تولى العمل، ٢ / ٧٨٨، رقم(١١١٩).

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، ٣/ ٥٦٦، ط١، المكتبة التجارية، مصر، ١٣٥٦هـ.

قلت: فهِم سلفُ الأمة هذه الحقيقة فعملوا بها وعلموها غيرهم؛ ومن ذلك أن الحسن البصري(ت:١١٠هـ) رحمه الله بعث قوماً من أصحابه في قضاء حاجة لرجل وقال لهم: مروا بثابت البناني(ت:١٢٧هـ)، فخذوه معكم، فأتوا ثابتًا، فقال: أنا معتكف، فرجعوا إلى الحسن فأخبروه، فقال: قولوا له: يا أعمش أما تعلم أن مشيك في حاجة أخيك المسلم خير لك من حجة بعد حجة؟ فرجعوا إلى ثابت، فترك اعتكافه، وذهب[1]" وعليه فإن المسلم المدرك شمول معنى العبادة يفهم عظم مقاصد الإسلام فيتطوع بمساعدة الآخرين تعبداً لله تعالى بل قد يكون أجر المساعدة أعظم من بعض نوافل العبادات لتعدي نفعها كما أكده نبينا ﷺ في حديث المفطرين الذين خدموا الصائمين.

ويفهم مما تقدم أن الأعمال التطوعية عبادة جليلة يتقرب بها المسلم لله تعالى، وأن العبادة غير مقتصرة على الفرائض أو بعض النوافل فينبغي تأصيل هذا المعنى الشامل في نفوس عامة المسلمين ليعظموا كل الأعمال التي يقومون بها ومنها مبادرتهم واهتمامهم بالأعمال التطوعية على اختلاف أنواعها.

الأصل السادس: شكر النعم

التأصيل: تقوم عبادة المسلم لله تعالى على أساس شكر الرب سبحانه على نعمه الكثيرة، وهذا واجب كتبه الله على عباده فقال سبحانه:﴿ يَٰٓأَيُّهَا

---

(١) قضاء الحوائج، عبدالله بن محمد بن عبيد المعروف بابن أبي الدنيا، ص ٨٩، رقم (١٠٣)، تحقيق: مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن، القاهرة. وانظر: جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي،٣ / ١٠١٤، تحقيق: د. ماهر الفحل، ط٢، دار السلام للطباعة والنشر، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢ ﴾[البقرة: ١٧٢]

وفي القرآن آيات كريمة تؤصل لشكر الله تعالى على النعم بالعمل التطوعي كقوله الله جل شأنه: ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧ ﴾[القصص: ٧٧].

يظهر التأكيد على الإحسان إلى الآخرين في قوله تعالى: ﴿ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ ﴾. قال ابن كثير:" أي: استعمل ما وهبك الله من هذا المال الجزيل والنعمة الطائلة، في طاعة ربك والتقرب إليه بأنواع القربات، التي يحصل لك بها الثواب في الدار الآخرة ..، أحسن إلى خلقه كما أحسن هو إليك(١)" وقال الألوسي(ت: ١٣٤٢هـ) رحمه الله: "أمر بصلة المساكين وذوي الحاجة(٢)"

ومن الآيات التي تؤصل للعمل التطوعي قوله الله تعالى: ﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣ ﴾[سبأ: ١٣] قال الزمخشري(ت:٥٣٨هـ) رحمه الله:" اعملوا لله واعبدوه على وجه الشكر لنعمائه. وفيه دليل على أن العبادة يجب أن تؤدى على طريق الشكر..(٣).

(١) تفسير ابن كثير، ٦/٢٥٣- ٢٥٤.

(٢) تفسير روح المعاني للألوسي،٤ / ٣٠٠.

(٣). تفسير الكشاف للزمخشري، ٣/ ٥٧٤ .

وقال ابن كثير:" وقلنا لهم اعملوا شكراً على ما أنعم به عليكم في الدنيا والدين[1]" وعليه فإن شكر الله جل وعلا على نعمه الكثيرة دينية أو دنيوية يكون بشكرها بأن يضعها العبد في طاعة الله لا في المعصية، وأن يتطوع زيادة على الفريضة طاعة لله واقتداء برسولهﷺ وبالأنبياء عليهم السلام فيخص أهل الحاجة والضعفاء.

ويتأكد هذا الأصل بالسنة النبوية فقرر نبينا ﷺ أن بعض شكر المسلم على النعم البدنية يكون بالأعمال التطوعية فقال ﷺ:" كل سلامى[2] من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس» قال: " تعدل بين الاثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها، أو ترفع له عليها متاعه صدقة" قال: "والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة[3]"

قال النووي:" قال العلماء: المراد صدقة ندب وترغيب لا إيجاب وإلزام[4]" وقال ابن الجوزي(ت:٥٩٧هـ) رحمه الله:" فكأن معنى الحديث: على كل عظم من عظام ابن آدم صدقة، لأنه إذا أصبح العضو سليماً فينبغي

(١) تفسير ابن كثير، ٦/٥٠٠.

(٢) السُّلامى: عظام أصابع اليد والرجل ومعناه عظام البدن كلها يريد أن في كل عضو ومفصل من بدنه عليه صدقة.، انظر: معالم السنن، حمد بن محمد البستي الخطابي، ١ / ٢٧٨، ط١، المطبعة العلمية، حلب، ١٣٥٢هـ- ١٩٣٢م

(٣) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، ٣/ ٨٣، رقم (١٠٠٩).

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ٧/ ٩٥.

أن يشكر، ويكون شكره بالصدقة، فالتسبيح والتحميد وما ذكره يجري مجرى الصدقة عن الشاكر[1].

ويعد الحديث السابق قاعدة عظيمة تؤصل للعمل التطوعي لما يلي:

أولًا:يؤكد الحديث الاهتمام بالعمل التطوعي وباستمراريته لأن الصدقات التي ذكرها نبينا محمد ﷺ في الحديث على اختلاف أنواعها هي شكر لله تعالى على نعم بدنية، وإذا علمنا أن كل مسلم عنده من نعم الله تعالى البدنية الشيء الكثير، وأنهﷺ ربط شكر هذه النعم بالأعمال التطوعية – كالإصلاح بين المتخاصمين ومساعدة الناس وإماطة الأذى – فهذا تقرير منه ﷺ للعمل التطوعي ولاستمراريته.

ثانيًا: أن استمرارية الأعمال التطوعية التي حث عليها نبينا ﷺ من خلال الصدقات اليومية يؤديها المسلم شكراً لله تعالى ورحمة بأصحاب الحاجات، ولو فعل عشر المسلمين هذه الصدقات اليومية لانتشرت الرحمة والمودة في المجتمع وقل عدد المحتاجين، ومن ناحية عقدية يبقى المسلم شاكراً لله تعالى على نعمه الكثيرة.

---

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين، عبد الرحمن بن علي الجوزي، ٣٦٧/١، رقم(٣١١) تحقيق: علي البواب، دار الوطن، الرياض. بدون طبعة وتاريخ.

الأصل السابع: الأخوة الإيمانية

التأصيل:

تعد موالاة المؤمنين عقيدة جلية في القرآن الكريم، يقول الله تعالى:﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: ٥٥- ٥٦] قال الطبري:" يعني تعالى ذكره بقوله:" إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا"، ليس لكم، أيها المؤمنون ناصر إلا الله ورسوله، والمؤمنون الذين صفتهم ما ذكر تعالى ذكره[١].

ومن أهم الفوائد في الآيتين: "التنبيه على عقيدة الولاء والبراء التي تتلخص في الموالاة والمحبة لله ورسوله والمؤمنين[٢]"

وتعد الأخوة الإيمانية أهم الروابط بين المسلمين، قررها الله تعالى في كتابه العزيز بقوله سبحانه:﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ ﴾[الحجرات:١٠] فالمؤمنون إخوة في الإيمان لا فرق بينهم إلا بالتقوى يجب عليهم محبة ومناصرة بعضهم. قال البقاعي(ت:٨٨٥هـ) رحمه الله:" أي كلهم وإن تباعدت أنسابهم وأغراضهم وبلادهم {إخوة} لانتسابهم إلى أصل واحد وهو الإيمان، لا بعد بينهم، ولا يفضل أحد منهم على أحد بجهة غير جهة الإيمان[٣]"

---

(١) تفسير الطبري، ١٠/٤٢٤.

(٢) المختصر في تفسير القرآن الكريم، ص ١١٧.

(٣) نظم الدرر، إبراهيم بن عمر البقاعي، ١٨ / ٣٧٣، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة. بدون تفاصيل.

وقال السعدي رحمه الله:" هذا عقد، عقده الله بين المؤمنين، أنه إذا وجد من أي شخص كان، في مشرق الأرض ومغربها، الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، فإنه أخ للمؤمنين، أخوة توجب أن يحب له المؤمنون ما يحبون لأنفسهم، ويكرهون له ما يكرهون لأنفسهم،...، ولقد أمر الله ورسوله، بالقيام بحقوق المؤمنين، بعضهم لبعض، وبما به يحصل التآلف والتوادد والتواصل بينهم؛ كل هذا تأييد لحقوق بعضهم على بعض[١]"

إن الأخوة الإيمانية تقتضي موالاة المؤمنين فالموالاة فرع عن الأخوة بل ملازمة لها. وموالاة المسلمين تعني: محبتهم ونصرتهم وتقتضي القيام بما يحتاجون من نصرة ومساعدة في السراء والضراء وتقدم بعض الآيات الدالة عليها.

وأما ما يقرر عقيدة الأخوة والموالاة للمؤمنين من السنة النبوية فكثير أهمها قول نبينا ﷺ:" مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى[٢].

قال النووي رحمه الله:" مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم" إلى آخر هذه الأحاديث صريحة في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض وحثهم على التراحم والملاطفة والتعاضد في غير إثم ولا مكروه[٣]"

ومما يؤكد هذا الترابط العقدي بين العمل التطوعي والعقيدة قوله ﷺ:" «الإيمان بضع وسبعون-أو بضع وستون -شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله،

---

(١) تفسير السعدي، ص ٨٠٠.

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ٤/ ١٩٩٩، رقم(٢٥٨٦).

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنوي، ١٦/ ١٣٩.

وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان[1]» فالذي يدفع المسلم لإزالة أذى عن أخيه المسلم أو تقديم منفعة له هو إيمانه وعقيدته الراسخة في قلبة.

من أعظم ما ورد في باب الأخوة الإيمانية قول ﷺ:" من أفضل العمل إدخال السرور على المؤمن تقضي عنه ديناً تقضي له حاجة تنفس له كربة[2].

لقد كان النبي ﷺ حريصاً على غرس الأخوة في نفوس المسلمين ويأمر بتعزيزها فكان يوصي بعض المسلمين إزالة الأذى عن طريق المسلمين بدليل أن أبا برزة رضي الله عنه، قال: قلت: يا نبي الله علمني شيئًا أنتفع به، قال:" اعزل الأذى عن طريق المسلمين[3].

قال النووي رحمه الله: "هذه الأحاديث المذكورة في الباب ظاهرة في فضل إزالة الأذى عن الطريق سواء كان الأذى شجرة تؤذي أو غصن شوك أو حجراً يعثر به أو قذراً أو جيفة وغير ذلك. وإماطة الأذى عن الطريق من شعب الإيمان كما سبق في الحديث الصحيح، وفيه التنبيه على فضيلة كل ما

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان، ٦٣/١، رقم (٥٨).

(٢) شعب الإيمان، للبيهقي، ١٣٠/١٠، رقم(٧٢٧٤)، تحقيق وتخريج د. عبد العلي حامد، ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٥/ ٣٦٥، ط١، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

(٣) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم، ١٦/ ١٧١،

نفع المسلمين وأزال عنهم ضررا [1]" فإذا كان إزالة الأذى من طرق المسلمين شعبة من الإيمان فإن التطوع بإزالة ما يؤذي المسلمين وجلب ما ينفعهم هو من شعب الإيمان؛ وعليه فإن ضعقيدة المسلم تحفزه لأداء مختلف الأعمال التطوعية التي فيها نفع للمسلمين أو دفع ضر عنهم.

تطبيقات على أصل الأخوة بين المسلمين من خلال العمل التطوعي:

طبق المسلمون هذه الأخوة عمليّاً وضربوا أروع الأمثلة في انعكاس قوة العقيدة على العمل التطوعي ومساعدة المحتاجين بتقديم كل ما يحتاجون من مساعدة مادية ومعنوية حتى صاروا مثلًا في الإيثار متجاوزين تقديم العمل التطوعي المعتاد إلى تفضيل المحتاجين على أنفسهم حتى مدحهم الله في القرآن مخلداً هذه الأخوة الراسخة فقال جل ذكره:﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحشر: ٩]

يحدث أبو هريرة رضي الله عنه عن سبب نزول الآية الكريمة فيقول:" أتى رجل رسول اللهﷺ، فقال: يا رسول الله، أصابني الجهد، فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئًا، فقال رسول الله: «ألا رجل يضيفه هذه الليلة، يرحمه الله؟» فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فذهب إلى أهله، فقال لامرأته: ضيف رسول الله لا تدخريه شيئًا، قالت: والله ما عندي إلا قوت

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل إماطة الأذى عن الطريق، ١٦/ ١٧١،

الصبية، قال: فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهم، وتعالي فأطفئي السراج ونطوي بطوننا الليلة، ففعلت، ثم غدا الرجل على رسول الله فقال: «لقد عجب الله عز وجل -أو ضحك - من فلان وفلانة» فأنزل الله عز وجل: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ ﴾(1).

قلت: لينظر العالم إلى رسوخ الإيمان وعظيم طاعة هذا الصحابي وامرأته لله تعالى ولرسوله ﷺ في تطبيق الأخوة الإيمانية الحقيقية بإكرام الضيف لدرجة تفضيلهما المحتاج على نفسيهما وعلى أبنائهما الصغار مع تعظيم العلي الأعلى سبحانه لهذا التطوع؛ حيث خلد الله فعلهما في القرآن اهتماماً بشأنه عنده سبحانه وترغيباً للمؤمنين بثوابه.

ومن تطبيقات العمل التطوعي بين المؤمنين في العفو عن المسيء ومساعدته ما اشتهر من إنفاق الصديق رضي الله عنه على مسطح —بالرغم مما صدر عنه في حادثة الإفك— التي أتبعها الله بقوله:﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾[النور: ٢٢].

قال النسفي (ت: ٧١٠هـ) رحمه الله:" نزلت في شأن أبي بكر الصديق رضى الله عنه حين حلف أن لا ينفق على مسطح ابن خالته لخوضه في

(١) صحيح البخاري، كتب تفسير القرآن، باب قوله تعالى:" ويؤثرون على أنفسهم"، ٦ / ١٤٨، رقم(٤٨٨٩).

عائشة رضى الله عنها وكان مسكيناً بدرياً مهاجراً ولما قرأها النبي ﷺ على أبي بكر قال: بلى أحب أن يغفر الله لي، وردّ إلى مسطح نفقته[1]"[2]

إن تاريخ الأمة مليء بتطبيقات الأخوة والمحبة وصنع المعروف بين المؤمنين. وهذا أصل عظيم يحفز للعمل التطوعي لو فهمه المسلمون وطبقوه في زماننا لما بقي محتاج في المجتمع المسلم.

وهكذا جميع المعاملات في المجتمع المسلم ينبغي أن تصدر عن قاعدة الأخوة الإيمانية بما تتضمنه من محبة وتفقد أحوال بعضهم فيكونوا بناء قوياً متعاضداً لقوله ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا[3]».

الأصل الثامن: التكفير عن السيئات

التأصيل: كل مسلم معرض للخطأ والتقصير في جنب الله تعالى، وهذا أمر طبيعي فالإنسان ليس معصومًا. والله تعالى يعلم طبيعة الإنسان الخطاءة ولكنه تعالى يحب عبده التائب فأرشده إلى التوبة ليكفر عن السيئات بعمل الطاعات، يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤]

قال الطبري رحمه الله :" يقول تعالى ذكره: إن الإنابة إلى طاعة الله والعمل بما يرضيه، يُذهب آثام معصية الله، ويكفر الذنوب[1]"

---

(١) تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبد الله بن أحمد النسفي، ٤٩٦/٢، تحقيق: يوسف بديوي، ط ١، دار الكلم الطيب، بيروت، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

(٢) انظر القصة بتمامها في صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب" لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا"، ٦/ ١٠١، رقم(٤٧٥٠).

(٣) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ٤/ ١٩٩٩، رقم(٢٥٨٥).

إن الحسنات في الآية الكريمة عامة يدخل فيها كل خير من صلاة تطوع وقراءة قرآن وصدقة ومساعدة للآخرين وهذا يحفز المسلم كي يبادر بالأعمال التطوعية لعلمه بأنها من الحسنات التي تمحو السيئات وتمحو الخطايا، وما دام هناك إنسان فهناك خطيئة وذنب؛ وعليه فيجب أن يربط العمل التطوعي بالتكفير عن السيئات وهذا يؤدي إلى استمرارية العمل التطوعي. وليس معنى هذا أنني أشجع على الذنوب ولكنها طبيعة الإنسان الخطاءة مع كثرة أسباب الغواية ، فإذا زل المسلم بادر إلى التوبة والتكفير عن سيئته بأعمال صالحة ومنها الأعمال التطوعية.

ومعلوم أن ما تعدى نفعه أفضل وأعظم أجراً مما اقتصر نفعه ولذلك بالرغم من تعدد أبواب الخير فإن بعض الآيات نصت على الصدقة للتكفير عن السيئات نظراً لتعدي نفعها بخلاف بعض العبادات التي قد يقتصر أثرها على فاعلها. قال سبحانه:﴿ **إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٧١)** ﴾[البقرة: ٢٧١]

تطبيقات: من رحمة الله أن يغفر الذنوب بيسير العمل ولو بسقي حيوان لقوله ﷺ:" بينما رجل يمشي بطريق، اشتد عليه العطش، فوجد بئراً فنزل فيها، فشرب ثم خرج، فإذا كلب يلهث، يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي، فنزل البئر فملأ خفه

---

(١) الطبري، ١٥/ ٥٠٩.

ثم أمسكه بفيه، فسقى الكلب، فشكر اللهُ له فغفر له " قالوا: يا رسول الله: له" وإن لنا في البهائم أجرا؟ فقال: «نعم، في كل ذات كبد رطبة أجر[1].

قال ابن حجر رحمه الله:" وقوله:" في كل ذات كبد" أي في إرواء كل ذات كبد" وقال: والرطوبة هنا كناية عن الحياة[2]" وعلق ابن عبد البر(ت:٤٦٣هـ) رحمه الله على الحديث فقال: النص في هذا الحديث أن في الإحسان إلى البهائم المملوكات وغير المملوكات أجراً عظيماً يكفر الله به السيئات[3].

وهكذا يلاحظ أن العمل التطوعي- ولو كان بسقي الحيوان - مما يكفر السيئات وهذا يحفر المسلم لفعله.

الأصل التاسع: مخالفة الكفار والمنافقين

التأصيل: تضمنت آيات القرآن الكريم التحذير من صفات الكفار والمنافقين وأخلاقهم الذميمة كمنع الخير وإعاقة المعروف ولمز المطوّعين؛ وعقيدة المسلم تأمره بعدم مشابهة الكفار- ومعلوم إجماع الأمة على حرمة التشبه بالكفار[4]وعليه يجب على المسلم الابتعاد عن هذه الخصال الذميمة ومخالفة

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، ٩/٨، رقم(٦٠٠٩)،

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، ٤٣٩/١٠.

(٣) الاستذكار، يوسف بن عبد البر النمري، ٨/ ٣٧٠، تحقيق سالم محمد عطا ومحمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

(٤) عقد ابن تيمية رحمه الله فصلاً سماه:" فصل في الإجماع على الأمر بمخالفة الكفار والنهي عن مشابهتهم، وأورد الأدلة على ذلك، انظر: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، ٣٦٣/١ ، تحقيق: د. ناصر العقل، ط٧، دار عالم الكتب، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

الكفار بالمسارعة بفعل الخير. وفيما يأتي بعض الآيات الكريمة التي حذرت من موافقة الكفار وذكرت صفاتهم ومنها منع الخير، يقول تعالى: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ ﴾[القلم: ٨-١٣]

فسر المراغي(ت:١٣٦٤هـ) رحمه الله منّاع الخير فقال:" أي بخيل بماله ممسك له، لا يجود به لدى البأساء والضراء فهو لا يدفع عوز المعوزين، ولا يساعد المحتاجين البائسين، ولا ينجد الأمة إذا حزبها الأمر، وضاقت بها السبل، كدفع عدو[1]"

ومما يشنع منع التطوع ورود عدة آيات تناولت المنافقين وصفاتهم، ومن أبرزها طعنهم في عمل المتطوعين بالخير من الصحابة وسخريتهم بتبرعاتهم فتوعدهم الله على هذه السخرية، يقول الله سبحانه: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾[التوبة: ٧٩]

قال ابن كثير:" وهذا أيضًا من صفات المنافقين لا يسلم أحد من عيبهم ولمزهم في جميع الأحوال حتى ولا المتصدقون يسلمون منهم، إن جاء أحد

(١) تفسير المراغي، ٣٢/٢٩.

منهم بمال جزيل قالوا هذا مراء، وإن جاء بشيء يسير قالوا: إن الله لغني عن صدقة هذا[1]..

وعن أبي مسعود رضي الله عنه قال:" لما نزلت آية الصدقة، كنا نحامل، فجاء رجل فتصدق بشيء كثير، فقالوا: مرائي، وجاء رجل فتصدق بصاع، فقالوا: إن الله لغني عن صاع هذا، فنزلت: ﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ ﴾[التوبة: ٧٩]الآية[2] [3].

وعليه فإن منع الأعمال الخيرية والتطوعية من صفات المنافقين والكفار التي عابهم الله بها، وعقيدة المسلم تجعله يجتهد في مخالفة هذه الصفات الذميمة ويتخلق بضدها كالمسارعة في الأعمال التطوعية.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ٤/ ١٨٤.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب اتقوا النار ولو بشق تمرة والقليل من الصدقة، ٢ / ١٠٩،رقم(١٤١٥).

(٣) قال محققه مصطفى البغا:" نحامل: نتكلف الحمل على ظهورنا بالأجرة لنكتسب ما نتصدق به. يلمزون: يعيبون. المطوعين: المتطوعين المتبرعين. جهدهم: طاقتهم ووسعهم. انظر: المرجع السابق، ٢/ ١٠٩.

الأصل العاشر: عظم أجور الأمة المحمدية

التأصيل: خص الله تعالى أمة الإسلام بخصائص عن الأمم السابقة أهمها أنها خير الأمم، قال الله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾[آل عمران: ١١٠]

ومن هذه الخصائص مضاعفة أجورها، قال تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[النساء: ٤٠].

قال السعدي رحمه الله:" أي إلى عشرة أمثالها إلى أكثر من ذلك بحسب حالها ونفعها وحال صاحبها إخلاصاً ومحبة وكمالا، ﴿ وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ أي زيادة على ثواب العمل بنفسه من التوفيق لأعمال أخر وإعطاء البر الكثير والخير الغزير(١)"

ثبت في السنة المطهرة فضل الله لهذه الأمة بمضاعفة أجورها يقولﷺ:" إنما مثلكم واليهود والنصارى كرجل استعمل عمالاً فقال: من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط قيراط؟ فعملت اليهود على قيراط قيراط، ثم عملت النصارى على قيراط قيراط، ثم أنتم الذين تعملون من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين"، فغضبت اليهود والنصارى، وقالوا: نحن أكثر عملاً وأقل عطاء، قال: «هل ظلمتكم من حقكم شيئًا؟» قالوا: لا، فقال: «فذلك فضلي أوتيه من أشاء(٢)»

---

(١) تفسير السعدي، ص ١٧٩ .

(٢) صحيح البخاري، كتاب الإجارة، باب الإجارة إلى صلاة العصر، ٣ / ٩٠، رقم (٢٢٦٩).

قال ابن حجر: "في الحديث تفضيل هذه الأمة وتوفير أجرها مع قلة عملها(١)"

وجاء في السنة المطهرة عظم أجر بعض هذه الأعمال ومنها الأعمال التطوعية.

تطبيقات: على عظم أجور الأعمال التطوعية: أولًا: قولهﷺ:" الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو كالذي يصوم النهار ويقوم الليل(٢)"

قال ابن حجر:" الساعي: الذي يذهب ويجيء في تحصيل ما ينفع الأرملة والمسكين(٣)"

الأرملة من أصناف الضعفاء الذين لا يقدرون على تحصيل قوتهم وحاجاتهم إلا بمساعدة من مكنهم الله وأعطاه من نعمه وخاصة المال للإنفاق عليها، ومثلها المسكين الذي عدم ماله أو قلّ فلا يجد كفاية، فأجر الساعي عليهما كأجر المجاهد الذي يعرض نفسه للقتل فهو أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله تعالى، والصيام لا يعلم قدره إلا هو سبحانه، وقيام الليل سنة الأنبياء ودأب الصالحين فأجرها عظيم، وهكذا نجد أن نبينا ﷺ رغب في التطوع بالقيام على حاجات الأرملة والمسكين وشبّه ثواب هذا العمل بثواب المجاهد والقائم الليل والصائم؛ وهذا كله ليعلّم أمته ويحثها على المبادرة

(١) فتح الباري لابن حجر العسقلاني، ٤/ ٤٤٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الساعي على المسكين، ٨ /٩، رقم (٦٠٠٦).

(٣) فتح الباري، علي بن حجر العسقلاني، ٩/٤٩٩.

والمسابقة في العمل التطوعي ليحظوا بعظيم الثواب. وهذا أجر عظيم على عمل قليل، فالحمد لله على ما أعطى هذه الأمة من مكارم.

ثانيًا: قال ﷺ:«لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة، في شجرة قطعها من ظهر الطريق، كانت تؤذي الناس[١].

وقالﷺ :" مَر رجل بغصن شجرة على ظهر طريق، فقال: والله لأنحين هذا عن المسلمين لا يؤذيهم فأدخل الجنة[٢]وهذا حديث عظيم يرغب المسلم في إزالة الأذى من طريق المسلمين.

ثالثًا: قالﷺ:« عرضت علي أعمالُ أمتي حسنُها وسيئُها، فوجدت في محاسن أعمالها الأذى يماط عن الطريق، ووجدت في مساوي أعمالها النخاعة تكون في المسجد، لا تدفن[٣] [٤]» ويستفاد من الحديث تعظيم العمل مهما قل فالله تعالى لا يضيع مثقال ذرة.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم، ٤ / ٢٠٢١، رقم(١٢٩).

(٢) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل إزالة الأذى عن الطريق، ٤/ ٢٠٢١، رقم(١٣٠).

(٣) صحيح مسلم، كتاب المساجد، باب النهي عن البصاق في المسجد في الصلاة، ١/ ٣٩٠، رقم (٥٥٣).

(٤) قال القرطبي: الأذى: هو كل ما يتأذى به من عظم، أو حجر، أو نجاسة، أو قذر، أو غير ذلك. ويُماط: يزال، ويُنحى." المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أحمد بن القرطبي، ٢/١٦١، تحقيق: محيي الدين ديب وآخرين، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، دار الكلم الطيب، دمشق- بيروت، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

رابعًا: قولهﷺ :" اتقوا النار ولو بشق تمرة[1].

إنه لمن من عظيم فضل الله تعالى على هذه الأمة أن المسلم إذا تطوع بنصف تمرة فهي مانع من دخول النار إن قبلها الله تعالى. ويمكن أن يقال هذا على العمل القليل كتنظيف المساجد. وقد ظهر عظم أجر هذا العمل بالسنة الفعلية التي تجلت باهتمام النبي ﷺ بالمرأة السوداء التي كانت تكنس المسجد النبوي فقد افتقدها نبينا ﷺ وسأل عنها ثم عاتب أصحابه لعدم إعلامه بموتها، وذهابه إلى قبرها وصلاته عليها ﷺ، بالرغم أنها لم تشارك معه في الجهاد ولا جادت بمال كثير، وإنما عملها ميسور وهو كنسها المسجد، فعظّم النبي ﷺ فعلها حتى نالت هذا الاهتمام النبوي الواضح الذي ختمه بصلاته ودعائه لها ﷺ.

ومن ذلك أيضًا إماطة الأذى عن الطريق وإطعام الجائع ومساعدة أصحاب الإعاقات وغيرها كثير.

لينظر المسلم كيف عَد نبينا ﷺ إماطة الأذى عن الطريق من محاسن أعمال هذه الأمة، وقد يكون هذا الأذى شيئًا يسيراً كإزالة مسمار أو حجر وما شابه، فالحمد لله على فضله وكرمه وتعظيمه أجور هذه الأمة، وهذا كله يحفز المسلم للعمل التطوعي مهما كان فعله يسيراً في الجهد أو الوقت أو المال، طمعاً في فضل الله تعالى وكرمه سبحانه وثوابه المضاعف لهذه الأمة المحمدية.

---

(١) تقدم تخريجه.

الأصل الحادي عشر: الإسلام رحمة للعالمين

التأصيل:

أراد الله تعالى أن يكون نبيه محمداً ﷺ خاتم الأنبياء وشريعته خاتمة الشرائع؛ فلذلك كانت خاصية العالمية لازمة لدين الإسلام بمعنى أن نفعه للعالم كله غير خاص بأمة واحدة ولا بجنس معين؛ ولذلك تضمن الإسلام أصول الخير والإحسان ونفع المخلوقات كلها لتشمل الإنسان والحيوان والنبات والبيئة والكون كله؛ وهذا يظهر في قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[الأنبياء: ١٠٧]

ذكر الطبري رحمه الله الاختلاف في المراد بالعالَمين ثم قال:" وأولى القولين في ذلك بالصواب القول الذي روي عن ابن عباس، وهو أن الله أرسل نبيه محمداً ﷺ رحمة لجميع العالم، مؤمنهم وكافرهم..[(١)].

لعل الأَولى أن يقال: إن الرحمة جاءت نكرة لتتعدى البشر، فتشمل كل المخلوقات لكل العوالم بصرف النظر عن الدين أو الجنس أو النوع، فالإسلام دين عالمي بهذا المعنى الشامل لكل الموجودات؛ حيث يمكن للمسلم أن يقدم خيراً ونفعاً لإنسان أو نبات أو حيوان أو بيئة أو فضاء. وهذا أصل مهم في التأصيل للعمل التطوعي في جميع مجالاته وأزمنته وأمكنته وظروفه.

جعل الله سبحانه طبيعة الحياة تقوم على التشارك والتسخير وعلى التعاون والتعارف لا على التناكر، وجعل الله–برحمته –كثيراً من المجالات للتعاون بين

---

(١) تفسير الطبري، ١٨/ ٥٥٢.

المسلمين وغير المسلمين من البشر فقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾[الحجرات: ١٣] ويُعد العمل التطوعي أحد المجالات التي يمكن فيها التعاون بين بني البشر عموماً مسلمهم وكافرهم فعقيدة المسلم تجعله يؤمن بأنه رحمة للخلق كلهم.

تطبيقات:

ظهرت تطبيقات عالمية الإسلام بوضوح في حياة نبينا محمد ﷺ فكان رحمة للإنسانية: رحمة للمسلمين، ورحمة على غير المسلمين، فعن أبي هريرة قال: قيل: يا رسول الله، ادعُ على المشركين، قال: "إني لم أبعث لعانًا، وإنما بعثت رحمة[١]"

ومن رحمته ﷺ تطوعه في زيارة فتى يهودي مريض، فعن أنس رضي الله عنه، قال: كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: «أسلم»، فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له:

أطع أبا القاسمﷺ ، فأسلم، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه من النار[٢].

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، ٤ / ٢٠٠٦، رقم (٢٥٩٩).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه؟ ٢ /٩٤ ، رقم(١٣٥٦).

قال ابن عاشور رحمه الله:" اقتضت حكمة الله في سياسة البشر أن يكون التشريع لهم تشريع رحمة إلى انقضاء العالم فأقيمت شريعة الإسلام على دعائم الرحمة والرفق واليسر[١].

ومن رحمته العامة عموم الخير الذي علمه أمته فقالﷺ: " ما من مسلم يغرس غرساً، أو يزرع زرعاً، فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة، إلا كان له به صدقة[٢].

قال النووي:"في هذه الأحاديث فضيلة الغرس وفضيلة الزرع وأن أجر فاعلي ذلك مستمر ما دام الغراس والزرع وما تولد منه إلى يوم القيامة، وقد اختلف العلماء في أطيب المكاسب..، فقيل الزراعة، وهو الصحيح[٣]..

قلت: تتجلى العالمية في هذا الحديث بحث نبيناﷺ على تطوع المسلمين بالزراعة ليأكل منه أيُّ إنسان دون النص على كونه مسلماً أم غير مسلم، بل ويأكل منه الطير أو الحيوان أيضًا. وما زال بعض الصالحين من المسلمين يزرعون الزرع ويغرسون الشجر على طريق الناس ليكون صدقة جارية يأكل منه عامة الناس والطير.

قال الشيخ محمد بن علي الأثيوبي(ت:١٤٤٢هـ) رحمه الله: الحث على الإحسان بمنح الأرض لمن يحتاج إلى زراعتها، وقد عَمِل بهذا الصحابة رضي الله عنهم، كما ترجم البخاري رحمه الله في "صحيحه" بقوله: "باب ما كان

---

(١) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، ١٧ / ١٦٨-١٦٩.

(٢) صحيح البخاري، كتاب المزارعة، باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه، ١٠٣/٣، رقم(٢٣٢٠).

(٣) شرح النووي على مسلم، ١٠/ ٢١٣.

من أصحاب النبي يُواسي بعضهم بعضًا في الزراعة والثمر[1]،... ومنها: حرص الشارع على الحث على التراحم والتعاطف، وعدم طلب المقابل على الإحسان، والترغيب إلى ما فيه جلب المودة والمحبة[2].

ومن معالم عالمية دين الإسلام: الرحمة بالحيوان فإن في إطعامه أجر لقوله ﷺ :" بينما رجل يمشي بطريق، اشتد عليه العطش، فوجد بئراً فنزل فيها، فشرب ثم خرج، فإذا كلب يلهث، يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي، فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه، فسقى الكلب فشكر اللهُ له فغفر له" قالوا: يا رسول الله: له" وإن لنا في البهائم أجرًا؟ فقال: «نعم، في كل ذات كبد رطبة أجر[3]»

قال ابن بطال(ت:٤٤٩هـ) رحمه الله:" في هذه الأحاديث الحض على استعمال الرحمة للخلق كلهم كافرهم ومؤمنهم ولجميع البهائم والرفق بها. وأن ذلك مما يغفر الله به الذنوب ويكفر به الخطايا، فينبغي لكل مؤمن عاقل أن يرغب في الأخذ بحظه من الرحمة، ويستعملها في أبناء جنسه وفي كل حيوان، فلم يخلقه الله عبثًا..[4].

---

(١) صحيح البخاري كتاب المزارعة، باب ما كان من أصحاب النبيّ يُواسي بعضهم بعضاً في الزراعة والثمر، ٣ /١٠٧، رقم(٢٣٣٩).

(٢) البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، محمد بن علي الأثيوبي، ٢٧/ ٢١١، ط١، دار ابن الجوزي، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٦م،

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، ٨/٩، رقم(٦٠٠٩)،

(٤) شرح صحيح البخاري لابن بطال، ٩/ ٢١٩-٢٢٠، أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ١٤٣٢هـ- ٢٠٠٣م.

وعليه فإن كل مسلم تبع لنبيه ﷺ أي أن العقيدة قد استقرت في قلبه على أنه رحمة للعالم عامة فيرحم الضعيف والفقير وأصحاب الإعاقات ويرحم الطير والحيوان، ويصلح ما يستطيعه من شأن الناس مسلمين أم غير مسلمين فالمسلم رحمة للجميع فيقدم العمل التطوعي طاعة لله تعالى واقتداءً بنيه ﷺ ورحمة بالخلق كلهم.

***

المبحث الثاني: الآثار العقدية للعمل التطوعي وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الآثار العقدية الدنيوية على المتطوع والمجتمع

المطلب الثاني: الآثار العقدية الأخروية

ينتج عن العمل التطوعي آثار عقدية جليلة على المتطوع وعلى المسلمين والناس عموما. وهذه الآثار كثيرة، ففضل الله لمن أطاعه يشمل الدارين وإن كان أعظمه وأكمله في الآخرة قال تعالى:﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾ ﴾[النساء: ١٣٤]

ولتفصيل هذه الآثار يمكن تقسيمها بحسب زمان حصولها إلى آثار دنيوية على المتطوع والمجتمع، وآثار عقدية أخروية، كما يأتي:

المطلب الأول: الآثار العقدية الدنيوية على الفرد والمجتمع. وفيه:

أولًا: الآثار العقدية الدنيوية على المتطوع: وأهمها:

١- تحقيق الإيمان بطاعة الله جل وعلا وطاعة رسوله ﷺ

تقدم في مبحث التأصيل أن المسلم يتطوع بالعمل التطوعي طاعة لله تعالى الذي أمر بفعل الخير وطاعة لرسوله ﷺ الذي كان قدوة في مختلف أنواع العمل التطوعي؛ وعليه فإن من أطاع الله ورسوله مخلصاً النية فإنه قد حصّل الإيمان لأن الله طلب من المؤمنين طاعته فطاعته تعالى برهان الإيمان وعلامته لقوله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ ﴾[الأنفال: ١]

والمعنى:" والزموا طاعة الله وطاعة رسوله إن كنتم مؤمنين حقًّا؛ لأن الإيمان

يبعث على الطاعة والبعد عن المعصية[1]" فمن أدى عملاً تطوعيّاً بنية خالصة فهو مؤمن. وجزاء الطاعة الفوز في الآخرة لوعد الله تعالى:﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾[النور: ٥٢]

والفوز في الآخرة أعظم مقصود المؤمن.

٢- نيل محبة الله تعالى:

أسمى المراتب وأغلى الأمنيات للمسلم أن يرزق حب الرب سبحانه. وإذا كان التقرب الى الله تعالى بالأعمال التطوعية باب كبير مع سهولته لكن ثمرته عظيمة إذ تحقق للمتطوع بإذن الله محبة الله تعالى، وخاصة إذا اعتاده المسلم فسيفوز بهذه النعمة الكبرى بدليل الحديث القدسي:" من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه..[2].

بل إن أحد معايير وموازين شدة محبة الله تعالى للمؤمنين كثرة نفع الناس، وإن أكثر الاعمال يحبها الله تعالى ما تطوع به المسلم من عمل يدخل به السرور على أخيه المسلم لقوله ﷺ: «أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس،

(١) المختصر في تفسير القرآن الكريم، ص ١٧٧.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، ٨/ ١٠٥، رقم(٦٥٠٢).

وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة أو تقضي عنه دينا، أو تطرد عنه جوعا[1]»

يتبين من هذا الحديث أن العمل التطوعي باب عظيم ينال المداوم عليه محبة الرب جل جلاله. كما أن العمل التطوعي له قدرهُ عند الله تعالى مهما قل بدليل أن شق تمرة يقي من النار، وكذلك عند رسوله ﷺ بدليل تعظيم النبي واهتمامه بأم محجن التي كانت تقُم المسجد فلام أصحابه لعدم إعلامه بموتها ثم سأل عن قبرها وصلى عليها. قال ابن عثيمين رحمه الله:" ففي هذا الحديث عدة فوائد: منها أن النبي ﷺ إنما يعظم الناس بحسب أعمالهم، وما قاموا به من طاعة الله وعبادته[2].

٣- **الأثر القلبي**: للعمل التطوعي آثار جليلة على نفس وقلب المتطوع أهمها الآتي:

أولًا- فرح القلب وابتهاجه

شرع الله لعباده الفرح بفضله وبرحمته قال تعالى:﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾[يونس: ٥٨] قال ابن

---

(١) الروض الداني(المعجم الصغير)، سليمان بن أحمد الطبراني، ٢/١٠٦، رقم(٨٦١)، قال الألباني: حسن. انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته،١/ ٩٥، رقم (١٧٦)، المكتب الإسلامي، بدون تفاصيل.

(٢) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، ٣ / ٦٠.

عاشور:"..، الفضل هو هداية الله التي في القرآن، والرحمة هي التوفيق إلى اتباع الشريعة التي هي الرحمة في الدنيا والآخرة[١]"

من فضل الله ورحمته بالمسلم ومن الحياة الطيبة التي وعد الله تعالى عباده المؤمنين التوفيق للتطوع بالخيرات فيكون الفرح مشروعاً بفعلها؛ ومن هنا يعلم أثر العمل التطوعي في قلب فاعله فرحاً لفرح أصحاب الحاجات بانقضاء حاجاتهم، وقد يظهر الفرح على وجهه فإذا رأى فقيراً شبع سُر لذلك، وإذا ساعد مديوناً في قضاء دينه أو همه فرح لفرح أخيه. إنه انشراح الصدر وفرح القلب بمساعدة المسلمين الضعفاء.

ومما يدل على هذا الأثر صفة وجه رسول الله ﷺ لما رأى الصحابة يقدمون الخير ويتطوعون بالمال والثياب والطعام لإولئك النفر الحفاة المقطعة ثيابهم فصار وجهه يبرق ويتهلل سروراً. يقول راويه:" ..حتى رأيت كومين من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل[٢]"

قال النووي رحمه الله:" وأما سبب سروره ﷺ ففرحاً بمبادرة المسلمين إلى طاعة الله تعالى وبذل أموالهم لله وامتثال أمر رسول الله ﷺ ولدفع حاجة هؤلاء المحتاجين وشفقة المسلمين بعضهم على بعض وتعاونهم على البر والتقوى[٣].

---

(١) تفسير التحرير والتنوير، ١١/ ٢٠٥.

(٢) تقدم الحديث وشرحه مفصلا.

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ٧/ ١٠٣.

إن المشاكل النفسية التي يعاني منها بعض الناس في زماننا بالرغم من توفر المال وسهولة الحياة يمكن معالجتها بل ويتأكد معالجة كثير منها بممارسة بعض أنواع العمل التطوعي وخاصة مساعدة اليتامى ومن على شاكلتهم من الضعفاء مما يدخل السرور والفرح المشروع إلى النفس وتحل السكينة والرضا مكان الحزن والهم.

ثانيًا- تليين القلب ومعالجة قسوته

من آثار العمل التطوعي أنه يُلين القلوب ويعالج قسوتها وخاصة إذا تعلق باليتامى والضعفاء والمعاقين، فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ يشكو قسوة قلبه فصح أن النبي قال له: أتحب أن يلين قلبك وتدرك حاجتك؟ ارحم اليتيم وامسح رأسه وأطعمه من طعامك يلن قلبك وتدرك حاجتك[1]"

بناء على هذه الوصية النبوية – مع ما لا يخفى من حال بعض المسلمبن في زماننا من قسوة قلوبهم بسبب غفلتها عن ربها وعن الآخرة وانشغالهم بالدنيا - فلو أقبل المسلمون على العمل التطوعي لظفروا بلين القلوب وشفاء قسوتها وإيقاظ غفلتها، وإذا لان القلب انشرح الصدر وانتبه الإنسان؛ إنها يقظة الإيمان وأهم أسبابها تقديم العمل التطوعي للضعفاء كاليتامى ونحوهم.

يقول ابن عثيمين رحمه الله:" اعلم أن الرفق بالضعفاء واليتامى والصغار يجعل في القلب رحمة وليناً وعطفاً وإنابة إلى الله عز وجل، لا يدركها إلا من

---

(١) أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق، باب ما جاء في كافل اليتيم من الثواب الجزيل، ص٢١٨، رقم(٦٦١) تحقيق: أيمن البحيري، ط١، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.، وفيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، ١/ ١٠٨. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، رقم(٨٠)، المكتب الإسلامي، رقم(٨٥٣).

جرب ذلك، فالذي ينبغي لك أن ترحم الصغار وترحم الأيتام وترحم الفقراء حتى يكون في قلبك العطف والحنان والرحمة و(إنما يرحم الله من عباده الرحماء)[1].

ولن أطيل في هذا المقام بالرغم من خطورة المرض- أقصد قسوة القلوب- وأثره الوخيم على المسلم وقلبه وسلوكه لكن أستشهد بكلام عالم له قدم راسخة في طب القلوب وهو ابن القيم(ت:٧٥١هـ) رحمه الله الذي يؤكد أهمية العمل التطوعي في انشراح الصدر وعلاج القسوة فيقول:" من أسباب شرح الصدر دوام ذكره على كل حال، ومنها: الإحسان إلى الخلق ونفعهم بما يمكنه من المال والجاه والنفع بالبدن وأنواع الإحسان، فإن الكريم المحسن أشرح الناس صدرا، وأطيبهم نفسا، وأنعمهم قلبا، والبخيل الذي ليس فيه إحسان أضيق الناس صدرًا، وأنكدهم عيشًا، وأعظمهم هماً وغما. وقد «ضرب رسول الله ﷺ في الصحيح مثلًا للبخيل والمتصدق كمثل رجلين عليهما جُنتان من حديد، كلما همّ المتصدق بصدقة اتسعت عليه وانبسطت حتى يجر ثيابه ويعفي أثره، وكلما همّ البخيل بالصدقة لزمت كل حلقة مكانها ولم تتسع عليه[2]فهذا مثل انشراح صدر المؤمن المتصدق، وانفساح قلبه، ومثل ضيق صدر البخيل، وانحصار قلبه.[3] "

---

(١) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، ٣/ ٨٩.

(٢) انظر: صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب مثل المنفق والبخيل، ٧٠٨/٢، رقم(١٠٢١)،

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن القيم ، ٢/ ٢٤، ط٢٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

وهكذا نجد أن العمل التطوعي يحيي القلب الذي هو محل نظر الرب جل جلاله فهذه من أعظم وسائل إحيائه. فما على أهل الإيمان إلا التزود والمسابقة في الأعمال التطوعية الجليلة.

ثالثًا- تزكية النفوس وتهذيبها

أعلمنا الله تعالى بأهداف البعثة النبوية وكان من أهمها تزكية النفوس، يقول تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾[آل عمران: ١٦٤]

قال السعدي: التزكية أي التطهير من الشرك، والمعاصي، والرذائل، وسائر مساوئ الأخلاق(١).

أقول: العلاقة بين العمل التطوعي وتزكية النفوس علاقة واضحة تتجلى إذا عرفنا ما كان عليه العرب قبل الإسلام من التفاخر والكبر وظلم الضعيف، ثم ما تحولت إليه أحوالهم من التراحم والتواد والأخوة ومساعدة المحتاجين. وما كانت هذه التغيرات لتحدث لولا فضل الله ورحمته ببعثة النبي الخاتم ﷺ الذي علم الصحابة وزكّى نفوسهم من خلال سيرته العطرة وأخلاقه التي كانت قدوة لهم وللأمة ولمحبي الخير حتى قيام الساعة؛ ولعل أمراض الكبر والتفاخر والإعجاب بالنفس أبرز ما تتزكى منه النفوس وتتطهر، وأفضل وسائل تزكية النفوس يكون بممارسة الأعمال التطوعية فيشارك المسلم الغني

(١) تفسير السعدي، ص ١٥٥ .

وذي الجاه والقوي- يشاركون إخوانهم الضعفاء والفقراء وأصحاب الحاجات، وينزلون من مستوى معيشتهم العالي ليخالطوا عوام المسلمين ويمارسوا أعمالاً تطوعية فيعيشوا همومهم ويتذكروا نعم الله عليهم ويطهروا أنفسهم مما علق بها من أمراض فيلقوا الله بقلب سليم.

كما يعالج العمل التطوعي شح النفوس، يقول سبحانه:﴿ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ﴾[الحشر: ٩] فلا يصدر العمل التطوعي الا من نفس كريمة آثرت النفقة على الشح وآثرت التعب وتقديم الخدمة للمحتاج ومساعدة الآخرين على الراحة. إنها نفس كبيرة توقتْ شحها فبشرها الله بالفلاح.

ثانيًا: آثار العمل التطوعي العقدية الدنيوية على المجتمع المسلم، يمكن إجمالها في الآتي:

أولًا: زيادة الألفة والمودة بين المسلمين

جُبل الإنسان على حب من أحسن إليه، وإذا انتشرت ثقافة العمل التطوعي بين المسلمين فستشيع المودة والتراحم في المجتمع إذ يؤدي انتشار الأعمال التطوعية في المجتمع إلى رفع الضغائن وانتشار الألفة والمحبة بين المسلمين مما يعمق رابطة الولاء بينهم. ولو عمل المسلمون بما قرره نبينا ﷺ من استحباب الصدقة اليومية شكراً لله على النعم البدنية والترغيب في أدائها بطرق متنوعة وأكثرها في الأعمال التطوعية الاجتماعية كالإصلاح بين المتخاصمين، ومساعدة الإنسان برفع متاعه على الدابة أو ما شابه، وإزالة الأذى عن الطريق، ولو فعل ربع المسلمين بعض هذه الصدقة اليومية

لانتشرت الرحمة والمودة والألفة في المجتمع المسلم. وبهذا يتحقق وصف الجسد الواحد لقوله ﷺ:" مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى[(١)]"

ومن هنا تأتي أهمية ترسيخ ثقافة العمل التطوعي بين جميع أفراد وفئات المجتمع المسلم وانعكاسات نتائجه على الجانب الأخلاقي بين المسلمين وآثاره العظيمة ومنها تخفيف حدة الجرائم لتي بدأت بالزيادة في السنوات الأخيرة – وهذا الأثر تؤكده دراسات عديدة[(٢)] فيكون العمل التطوعي عاملاً مهماً في رفع الضغائن وزيادة الألفة والمودة والتراحم بين أفراد المجتمع والحد من الجرائم.

ثانيًا: الرزق والنصر

من آثار العمل التطوعي أنه يجلب بإذن الله النصر والرزق، لأنه عون ومساعدة للضعفاء المسلمين ورحمة بهم، والجزاء من جنس العمل فمن أعان ضعيفاً ونصر مظلوماً فالله رازقه وناصره ولو بعد حين، بدليل ما صح في الحديث أن سعداً رضي الله عنه رأى أن له فضلاً على من دونه فقال نبينا محمد ﷺ معلماً لسعد وللأمة:" هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم[(٣)].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر رسالة ماجستير بعنوان " العمل التطوعي وعلاقته بأمن المجتمع"، ص ٨٤ وما بعدها، إعداد: معلوي الشهراني، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب، ٣٦/٤، رقم(٢٨٩٦).

قال ابن الجوزي(ت:٥٩٧هـ) رحمه الله: إنما أراد النبي كسر سورته في اعتقاده فضله على غيره ليستعمل التواضع والذل، فأعلمه أن الضعفاء في مقام انكسار وذل، وهو المراد من العبد، وهو المقتضي للرحمة والإنعام[١]"

وقال ابن عثيمين رحمه الله :"الضعفاء سبب للنصر وسبب للرزق، فإذا حَنَّ عليهم الإنسان وعطف عليهم وآتاهم مما آتاه الله عز وجل؛ كان ذلك سبباً للنصر على الأعداء، وكان سبباً للرزق[٢].

من المهم تقرير أن العمل التطوعي سبب جالب للرزق لقوله تعالى:﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾[سبأ: ٣٩]

قال السعدي رحمه الله:" فلا تتوهموا أن الإنفاق مما ينقص الرزق، بل وعد بالخلف للمنفق، الذي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴿ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ فاطلبوا الرزق منه، واسعوا في الأسباب التي أمركم بها[٣]" إن الانخراط في العمل التطوعي هو أحد أسباب الرزق بل وأهمه وأنفعه للعبد في الدنيا والآخرة. وإن عقيدة المسلم بأن الله تعالى هو الرزاق وأنه وعد بأنه سيعوض المنفقين في الدنيا مالاً أو غيره -بدل إنفاقهم، وفي الآخرة ثوابًا عظيمًا- هذه العقيدة تزيد الإيمان بوعد الله فمن تطوع بتقديم مال لمحتاج فالله

---

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي، ١/ ٢٤٤، تحقيق علي البواب، دار الوطن، الرياض.

(٢) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين، ٣/١١٣.

(٣) تفسير السعدي، ص ٦٨١.

سيرزقه بدلاً مما قدم، ومن قدم وقته وجهده في مساعدة مريض أو تعليم فئة من الناس علماً نافعاً دينياً أم دنيويّاً فإن الله سيرزقه ويعوضه عن جهده ووقته؛ وعليه فينبغي للمسلم أن يطلب النصر والرزق من الله تعالى بالأخذ بأسبابهما ومن ذلك رحمة الضعفاء والمحتاجين والإحسان إليهم والتطوع بمختلف أنواع التطوع مالاً او جهداً أو وقتًا.

ثالثًا: تحسين صورة الإسلام والحد من ظاهرة "الإسلاموفوبيا(١)"

إن انتشار ثقافة العمل التطوعي بين المسلمين - وخاصة في المجتمعات غير المسلمة – بحيث يستفيد منها غير المسلمين وينتفعون بأعمال المسلمين التطوعية - له أثر واضح في التعريف بالإسلام وبإنسانيته وتعاليمه السمحة وبعالميته، لأن الإسلام دين عالمي ورحمة لكل الخلائق لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]

علق الشيخ الأمين الشنقيطي(ت:١٣٩٣هـ) رحمه الله على قوله تعالى:﴿ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ٨ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ٩ ﴾ [الإنسان:٨-٩] فقال:" وهذا من محاسن الإسلام

(١) (الإسلاموفوبيا) هو: التحامل والكراهية والخوف من الإسلام أو من المسلمين. انظر الرابط التالي تاريخه: ٢٠٢٢/١/١٢م:
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D٨٪A٥٪D٨٪B٣٪D٩٪٨٤٪D٨٪A٧٪D٩٪٨٥٪D٩٪٨٨٪D٩٪٨١
. %D٩٪٨٨٪D٨٪A٨٪D٩٪٨A%D٨٪A٧

وسمو تعاليمه، وإن العالم كله اليوم لفي حاجة إلى معرفة هذه التعاليم السماوية السامية حتى مع أعدائه[١]"

ينبغي على المسلمين توظيف العمل التطوعي بقصد تحبيب غير المسلمين بالإسلام وإزالة ما علق بهذا الدين من تشوهات وسمعة سيئة وخاصة في السنوات الأخيرة واستغلال الأعداء هذه التشوهات ونتائجها التي عرفت بـ"الإسلاموفوبيا" للتنفير عن الإسلام والحد من انتشاره في العالم؛ فالعمل التطوعي وسيلة مهمة لنشر الصورة الصحيحة للإسلام وأهله ويساهم في تحسين صورته في العالم، وهذا أثر مهم وجليل للعمل التطوعي.

لقد اهتم نبينا ﷺ بالمسألة الإعلامية للدعوة نظراً لأثرها الكبير في نفوس المدعوين وكان حريصاً على دخول الناس في الإسلام حتى الصبيان منهم، فعن أنس رضي الله عنه، قال: كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض، فأتاه النبي ﷺ يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: «أسلم»، فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له: أطع أبا القاسمﷺ، فأسلم، فخرج النبي ﷺوهو يقول: «الحمد لله الذي أنقذه من النار[٢]»

لقد فهم العلماء هذا الأثر من الأعمال التطوعية، فقال العيني(ت: ٨٥٥هـ):" وفيه جواز عيادة أهل الذمة، ولا سيما إذا كان الذمي جاراً له، لأن فيه إظهار محاسن الإسلام وزيادة التآلف بهم ليرغبوا في الإسلام..[٣] "

---

(١) أضواء البيان في أيضّاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، ٨ / ٣٩٥، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بن أحمد العيني، ٨ /١٧٥.

وقال المناوي عند كلامه على حديث المسح على رأس اليتيم :"إطلاق الأخبار شامل لأيتام الكفار ولم أرَ من خصها بالمسلم[1]"

وبناءً عليه يجب على المسلمين الاهتمام بالعمل التطوعي ونشره عالميّاً نظراً لأهميته وفضائله وآثاره العظيمة، ولتحل صورته الحقيقية الناصعة محل الصورة السيئة وتساهم في الحد من ظاهرة " الإسلاموفوبيا" المنتشرة في هذا الزمان، فنسأل الله تعالى أن يعيننا على ذلك ليعم أثره الطيب كل العالم.

***

---

(١) فيض القدير للمناوي، ١/ ١٠٨.

ثانيًا: الآثار العقدية للعمل التطوعي في الآخرة

للعمل التطوعي عدة آثار يجني المتطوع خيرها وفضلها في اليوم الآخر لعل أهمها:

أولًا- تفريج كربات المتطوع يوم القيامة:

معلوم أن الجزاء من جنس العمل، وفاعل الخير سيجد عند الله خيراً أعظم مما قدم لقوله سبحانه: ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ﴾[المزمل: ٢٠]

ومن ذلك الخير ما فصله النبي ﷺ بقوله: "«من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب الآخرة، ومن ستر على مسلم ستره الله في الدنيا والآخرة[١]" قال الصنعاني رحمه الله:" وهذه الجمل المذكورة في الحديث دلت على أنه تعالى يجازي العبد من جنس فعله فمن ستر ستر عليه ومن يسر يسر عليه ومن أعان أعين. ثم إنه تعالى بفضله وكرمه جعل الجزاء في الدارين في حق الميسر على المعسر والساتر للمسلم وجعل تفريج الكربة يجازى به في يوم القيامة كأنه لعظائم يوم القيامة أخرّ عز وجل جزاء تفريج الكربة، ويحتمل أن يفرج عنه في الدنيا أيضًا لكنه طوي في الحديث وذكر ما هو أهم[٢]."

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) سبل السلام، محمد بن إسماعيل الصنعاني، ٢/ ٦٣٩.

ومن تفريج كربات القيامة قوله ﷺ:«ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يثبتها له ثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام[1]»وأعظم الفرج وأكبر الفوز النجاة من النار لقوله تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ١٨٥﴾ [آل عمران: ١٨٥] وقد قال ﷺ:«اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد، فبكلمة طيبة[2]»

قال ابن حجر رحمه الله:" اتقوا النار ولو بشق تمرة" أي اجعلوا بينكم وبينها وقاية من الصدقة وعمل البر ولو بشيء يسير[3]" وهكذا فإن أعظم آثار العمل التطوعي ما سيجده فاعله من تفريج الكربات يوم القيامة.

رابعًا: دخول الجنة

قال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ١٣٢﴾ [آل عمران: ١٣٢] فطاعة الله تعالى وطاعة ورسولهﷺ بفعل الخير سبب مهم لتحصيل رحمة الله والفوز بمرضاته وجنته والنجاة من النار.

إن جزاء من أطاع الله تعالى ورسوله ﷺ أنه في الجنة مع الذين اقتدى بهم من الأنبياء والصالحين- وأولهم نبينا محمد ﷺ لقوله سبحانه: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ٦٩﴾[النساء: ٦٩].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) فتح الباري، ٤٠٥/١١.

ومما يدل على أن العمل التطوعي من أسباب دخول الجنة ثناء الله تعالى على الأبرار حيث ذكر سبحانه جملة من أعمالهم التطوعية فقال جل شأنه: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ ﴾[الإنسان: ٨-٩]

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره مخبراً عن هؤلاء القوم الذين صفتهم أنهم يقولون لمن أطعموه من أهل الفاقة والحاجة: ما نطعمكم طعاماً نطلب منكم عوضاً على إطعامناكم جزاءً ولا شكورا، ولكنا نطعمكم رجاء منا أن يؤمننا ربنا من عقوبته في يوم شديد هوله، عظيم أمره، تعبِس فيه الوجوه من شدة مكارهه، ويطول بلاء أهله، ويشتدّ(١).

قال المراغي رحمه الله:" والمراد من إطعام الطعام الإحسان إلى المحتاجين ومواساتهم بأي وجه كان، وإنما خص الطعام لكونه أشرف أنواع الإحسان، لا جرم أن عبر به عن جميع وجوه المنافع(٢).

ومن أدلته أيضًا قول نبينا ﷺ:«لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة، في شجرة قطعها من ظهر الطريق، كانت تؤذي الناس(٣).

---

(١) تفسير الطبري، ٢٤ / ٩٩.

(٢) تفسير المراغي، ٢٩/١٦٥،

(٣) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن الإشارة بالسلاح إلى مسلم، ٤ / ٢٠٢١، رقم (١٢٩).

قال ابن عثيمين:" مع أن هذا الغصن إذا آذى المسلمين فإنما يؤذيهم في أبدانهم، ومع ذلك غفر الله لهذا الرجل، وأدخله الجنة، ففيه دليل على فضيلة إزالة الأذى عن الطريق، وأنه سبب لدخول الجنة.(١).

لو لم يرد في العمل التطوعي إلا هذا الحديث العظيم لكان دافعاً قويّاً للمسلمين كي يتسابقوا في فعل الخيرات كإزالة الأذى من طرقهم طاعة لله ورسوله ﷺ وسعياً لجنة عرضها السماء والأرض، وهذا كله من عظيم فضل الله تعالى وواسع رحمته وكرمه لعباده الموحدين المتطوعين فيجازيهم خيراً كثيراً أبدياً على عمل قليل.

***

(١) شرح رياض الصالحين، ابن عثيمين، ٢/ ١٧٥.

خاتمة:

بعد دراسة الأصول والآثار العقدية للعمل التطوعي في الإسلام يمكن تسطير النتائج التالية مع أبرز التوصيات:

أولًا: وجود ارتباط وثيق بين أصول العقيدة والعمل التطوعي ومن هذه الأصول: أسماء الله الحسنى وآثارها في قلب وسلوك المسلم، وطاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وعلامة على الإيمان، والإيمان بالرسل عليهم السلام والاقتداء بهم وبالصالحين الذين خلد الله أعمالهم التطوعية في القرآن الكريم. وشكر النعم والتكفير عن السيئات والأخوة الإيمانية وعظم أجور هذه الأمة وعالمية دين الإسلام. ولعل أهم الروابط بينها ربط العمل التطوعي بالإيمان باليوم الآخر وما أعده الله من ثواب جزيل للمتطوعين.

ثانيًا: يترتب على العمل التطوعي عدة آثار مهمة على المتطوع وعلى المجتمع السلم؛ فمن آثار العمل التطوعي في الدنيا أن يُفرح قلب المتطوع ويزيل قسوته ويهذب الأخلاق، وسبب للفوز بمحبة الله تعالى، ويقوي رابطة الأخوة الإيمانية وينشر المحبة والرحمة بين المسلمين، ويقلل من ظاهرة "الإسلاموفوبيا" عالميًّا. ومن أعظم آثاره في الآخرة: أنه سبب في تفريج الكربات يوم القيامة وسبب في دخول الجنة والنجاة من النار.

ثالثًا: كثرة الآيات القرآنية التي أصلت للعمل التطوعي وتأكيد طلبه وترتيب الفوز بالرحمة الإلهيه وبالفلاح

على فعله، وإيراد قصص تطوع الأنبياء والصالحين.

رابعًا: اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بالعمل التطوعي وفعله قبل النبوة وبعدها، وتعظيمه لمختلف أنواع العمل التطوعي وترغيب المؤمنين بفعله.

خامسًا: كثرة الأحاديث النبوية التي تؤصل للعمل التطوعي وتربطه بقواعد عقدية مهمة كالأخوة الإيمانية ومغفرة الذنوب وشكر النعم ودخول الجنة والنجاة من النار.

سادسًا: رسوخ العمل التطوعي في واقع أمة الإسلام وكثرة تطبيقاته العملية منذ عصر النبوة وحتى يومنا هذا.

سابعًا: سعة مجالات العمل التطوعي في الإسلام فتشمل المسلم وغير المسلم والبيئة والحيوان.

توصيات البحث:

أولًا: أوصي بزيادة نشر ثقافة العمل التطوعي بين المسلمين عبر وسائل الإعلام وفي المدارس والجامعات والمساجد وربطها بالعقيدة الإسلامية وبيان أصولها وآثارها العظيمة على المتطوع والمجتمع المسلم والعالم.

ثانيًا: تخصيص رسالة علمية تتناول العمل التطوعي دراسة عقدية من جميع جوانبه.

ثالثًا: اهتمام المسلمين بأداء العمل التطوعي في المجتمعات غير المسلمة نظراً لأثره العقدي والدعوي.

رابعًا: تقرير مقرر "العمل التطوعي" على طلبة المدارس والجامعات، ضمن قسم علمي تأصيلي ساعة واحدة، وقسم عملي ساعة عملية يقضيها الطالب في خدمة المجتمع المحلي.

وختامًا أحمد الله على ما وفق وأعان، وأسأله تعالى أن يوفقنا للعناية بالعمل التطوعي تأصيلاً وتطبيقاً، وأن يرزقنا -ببركة أدائه وترغيب المسلمين بذلك- ثواب الدنيا والآخرة، وأسأله برحمته القبول والنفع ومغفرة الزلل، والصلاة والسلام على جميع النبيين وعلى خاتمهم نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان، والحمد لله رب العالمين.

المراجع

الاستذكار، يوسف بن عبد البر النمري، تحقيق سالم عطا ومحمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن تيميه، تحقيق: د. ناصر العقل، ط٧، دار عالم الكتب، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

أضواء البيان في أيضًاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، الطبعة: ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥ م.

أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الخامسة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

البحر المحيط الثجاج في شرح صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، محمد بن علي الأثيوبي، ط١، دار ابن الجوزي، ١٤٢٦- ١٤٣٦.

التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن عاشور، (ت: ١٣٩٣هـ)، الناشر : الدار التونسية للنشر- تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، تحقيق: جماعة من العلماء، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

تفسير ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد الرازي، تحقيق: أسعد الطيب، ط٣، مكتبة: نزار البارز، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ.

تفسير أسماء الله الحسنى، إبراهيم بن السري الزجاج (المتوفى: ٣١١هـ)، المحقق: أحمد يوسف الدقاق، الناشر: دار الثقافة العربية.

تفسير أسماء الله الحسنى، عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي، تحقيق عبيد العبيد، بحث منشور في الجامعة الإسلامية، العدد ١١٢، عام ١٤٢١هـ، المدينة المنورة.

تفسير القرآن العزيز، محمد بن عبد الله المعروف بابن أبي زَمنين (المتوفى: ٣٩٩هـ)، تحقيق: حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة - مصر/ القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة - ١٤١٩ هـ.

تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩ م.

تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ- ١٩٤٦ م.

تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.

جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، تحقيق: د. ماهر الفحل، ط٢، دار السلام للطباعة والنشر، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة. ط الأولى، ١٤٢٢هـ.

الجامع لأحكام القرآن ، محمد بن أحمد القرطبي، (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية — القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

حلية الاولياء وطبقات الأصفياء، أحمد بن عبدالله الأصبهاني، دار السعادة، ١٣٩٤-١٩٧٤م، مصر.
روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.
الروض الداني (المعجم الصغير)، سليمان بن أحمد الطبراني، تحقيق: محمد شكور أمرير، ط١، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، عمان، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر بن القيم، ط٢٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.
سبل السلام، محمد بن إسماعيل الصنعاني، دار الحديث، بدون طبعة وتاريخ. نسخة الشاملة.
سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الألباني، ط١، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض،١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.
شأن الدعاء، حمد بن محمد الخطابي، تحقيق: احمد الدقاق، ط١، دار الثقافة العربية، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
شرح رياض الصالحين، محمد بن صالح العثيمين دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: ١٤٢٦ هـ.
شعب الإيمان، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق وتخريج د. عبد العلي حامد، ط١، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٢٣هـ.
صحيح الترغيب والترهيب، محمد ناصر الالباني، ط١، مكتبة المعارف، الرياض، السعودية. ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الالباني، المكتب الإسلامي، بدون تفاصيل.
العبودية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق محمد الشاويش، ط ٧، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٥هـ-٢٠٠٥م.

عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بن أحمد بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ)،دار إحياء التراث العربي، بيروت.

فتح الباري شرح صحيح البخاري، علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)دار ابن كثير، دار الكلم الطيب- دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.

فقه الأسماء الحسنى، عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، نسخة إلكترونية، بدون تفاصيل.

فيض القدير شرح الجامع الصغير، عبد الرؤوف المناوي، ط١، المكتبة التجارية، مصر، ١٣٥٦هـ.

قضاء الحوائج، عبدالله بن محمد بن عبيد المعروف بابن أبي الدنيا، تحقيق: مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن، القاهرة.

الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، محمود بن عمرو الزمخشري (المتوفى: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ.

لباب التأويل في معاني التنزيل، علي بن محمد المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

اللباب في علوم الكتاب، عمر بن علي بن عادل الحنبلي، (المتوفى: ٧٧٥هـ). المحقق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية -بيروت لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.

المختصر في تفسير القرآن الكريم، تصنيف: جماعة من علماء التفسير، إشراف: مركز تفسير للدراسات القرآنية، الطبعة: الثالثة، ١٤٣٦ هـ.

مدارك التنزيل وحقائق التأويل، عبد الله بن أحمد النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ)، تحقيق: يوسف علي بديوي، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.

المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

معالم السنن، حمد بن محمد البستي الخطابي، ط١، المطبعة العلمية، حلب، ١٣٥٢هـ-١٩٣٢م

المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، أحمد بن عمر القرطبي، تحقيق: محي الدين ديب وآخرون، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، دار الكلم الطيب، دمشق- بيروت، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦.

مكارم الأخلاق، محمد بن جعفر الخرائطي، تحقيق: أيمن البحيري، ط١، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، محمد بن محمد الغزالي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، المحقق: بسام عبد الوهاب الجابي، الناشر: الجفان والجابي – قبرص، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧- ١٩٨٧.

المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، يحيى بن شرف النووي، ط٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٣٩٢هـ.

نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

***

AlmrAjς

AlAstðkAr ،ywsf bn ςbd Albr Alnmry ،tHqyq sAlm ςTA wmHmd mςwD ،T١ ، dAr Alktb Alςlmyħ ،byrwt١٤٢١ ،h٢٠٠٠ –-m.

AqtDA' AlSrAT Almstqym lmxAlfħ ÂSHAb AljHym ،ÂHmd bn tymyh ،tHqyq: d. nASr Alςql ،T٧ ،dAr ςAlm Alktb ،byrwt١٤١٩ ،h١٩٩٩ - -m.

ÂDwA' AlbyAn fy ÂyĎÁH AlqrĀn bAlqrĀn ،mHmd AlÂmyn bn mHmd AlŝnqyTy (AlmtwfŶ: ١٣٩٣h-) ،AlnAŝr: dAr Alfkr llTbAςħ wAlnŝr wAltwzyς byrwt – lbnAn ،AlTbςħ: ١٤١٥ h١٩٩٥ -- m.

Âysr AltfAsyr lklAm Alςly Alkbyr ،jAbr bn mwsŶ Âbw bkr AljzAŶry ،mktbħ Alςlwm wAlHkm ،Almdynħ Almnwrħ ،Almmlkħ Alςrbyħ Alsςwdyħ ، AlTbςħ AlxAmsħ١٤٢٤ ،h٢٠٠٣/-m.

AlbHr AlmHyT AlθjAj fy ŝrH SHyH AlǍmAm mslm bn AlHjAj ،mHmd bn ςly AlÂθywby ،T١ ،dAr Abn Aljwzy١٤٢٦ ،- ١٤٣٦.

AltHryr wAltnwyr «tHryr AlmςnŶ Alsdyd wtnwyr Alςql Aljdyd mn tfsyr AlktAb Almjyd» ،mHmd AlTAhr bn ςAŝwr ،(t: ١٣٩٣h-) ،AlnAŝr : AldAr Altwnsyħ llnŝr- twns ،snħ Alnŝr: ١٩٨٤ h-.

AltςryfAt ،ςly bn mHmd AljrjAny ،tHqyq: jmAςħ mn AlςlmA' ،T١ ،dAr Alktb Alςlmyħ ،byrwt - lbnAn١٤٠٣ ،h١٩٨٣- -m.

tfsyr Abn Âby HAtm ،ςbd AlrHmn bn mHmd AlrAzy ،tHqyq: Âsςd AlTyb ،T٣ ، mktbħ: nzAr AlbArz ،mkħ Almkrmħ ،Almmlkħ Alςrbyħ Alsςwdyħ١٤١٩ ،h-.

tfsyr ÂsmA' Allh AlHsnŶ ،ǍbrAhym bn Alsry AlzjAj (AlmtwfŶ: ٣١١h-) ، AlmHqq: ÂHmd ywsf AldqAq ،AlnAŝr: dAr AlθqAfħ Alςrbyħ.

tfsyr ÂsmA' Allh AlHsnŶ ،ςbd AlrHmn bn nASr Āl sςdy ،tHqyq ςbyd Alςbyd ، bHθ mnŝwr fy AljAmςħ AlǍslAmyħ ،Alςdd ١١٢ ،ςAm ١٤٢١h ،-Almdynħ Almnwrħ.

tfsyr AlqrĀn Alςzyz ،mHmd bn ςbd Allh Almςrwf bAbn Âby zḿnyn (AlmtwfŶ: ٣٩٩h-) ،tHqyq: Hsyn bn ςkAŝħ - mHmd bn mSTfŶ Alknz ،AlfArwq AlHdyθħ - mSr/ AlqAhrħ ،AlTbςħ: AlÂwlŶ١٤٢٣ ،h٢٠٠٢ - -m.

tfsyr AlqrĀn AlςĎym lAbn Âby HAtm ،ςbd AlrHmn bn Âby HAtm (AlmtwfŶ: ٣٢٧h-) ،AlmHqq: Âsςd mHmd AlTyb ،AlnAŝr: mktbħ nzAr mSTfŶ AlbAz - Almmlkħ Alςrbyħ Alsςwdyħ ،AlTbςħ: AlθAlθħ - ١٤١٩ h-.

tfsyr AlqrĀn AlςĎym ،ǍsmAςyl bn ςmr bn kθyr (AlmtwfŶ: ٧٧٤h-) ،AlmHqq: sAmy bn mHmd slAmħ ،AlnAŝr: dAr Tybħ llnŝr wAltwzyς ،AlTbςħ: AlθAnyħ ١٤٢٠h١٩٩٩ -- m.

tfsyr AlmrAγy ،ÂHmd bn mSTfŶ AlmrAγy (AlmtwfŶ: ١٣٧١h-) ،AlnAŝr: ŝrkħ mktbħ wmTbςħ mSTfŶ AlbAbŶ AlHlby wÂwlÁdh bmSr ،AlTbςħ: AlÂwlŶ١٣٦٥ ، h١٩٤٦ -- m.

tysyr Alkrym AlrHmn fy tfsyr klAm AlmnAn ،ςbd AlrHmn bn nASr bn ςbd Allh Alsςdy (AlmtwfŶ: ١٣٧٦h-) ،AlmHqq: ςbd AlrHmn bn mςlA AllwyHq ، AlnAŝr: mŵssħ AlrsAlħ ،AlTbςħ: AlÂwlŶ ١٤٢٠h٢٠٠٠-- m.

jAmς AlbyAn fy tÂwyl AlqrĀn ،Almŵlf: mHmd bn jryr AlTbry (AlmtwfŶ: ٣١٠h-) ،AlmHqq: ÂHmd mHmd ŝAkr ،AlnAŝr: mŵssħ AlrsAlħ ،AlTbςħ: AlÂwlŶ١٤٢٠ ، h٢٠٠٠ - - m.

jAmς Alςlwm wAlHkm ،lAbn rjb AlHnbly ،tHqyq: d. mAhr AlfHl ،T٢ ،dAr AlslAm llTbAςħ wAlnŝr١٤٢٤ ،h٢٠٠٣ –-m.

AljAmς Almsnd AlSHyH AlmxtSr mn Âmwr rswl Allh SlŶ Allh ςlyh wslm wsnnh wÂyAmh ،SHyH AlbxAry ،mHmd bn ǍsmAςyl AlbxAry ،tHqyq: mHmd zhyr AlnASr ،dAr Twq AlnjAħ. T AlÂwlŶ١٤٢٢ ،h-.
AljAmς lÂHkAm AlqrĀn ،mHmd bn ÂHmd AlqrTby ،(AlmtwfŶ: ٦٧١h-) ، tHqyq: ÂHmd Albrdwny wǍbrAhym ÂTfyŝ ،AlnAŝr: dAr Alktb AlmSryħ – AlqAhrħ ،AlTbςħ: AlθAnyħ١٣٨٤ ،h١٩٦٤ - -m.
Hlyħ AlAwlyA' wTbqAt AlÂSfyA' ،ÂHmd bn ςbdAllh AlÂSbhAny ،dAr AlsςAdħ١٣٩٤ ،- ١٩٧٤m ،mSr.
rwH AlmςAny fy tfsyr AlqrĀn AlςĎym wAlsbς AlmθAny ،Almŵlf: ŝhAb Aldyn mHmwd bn ςbd Allh AlHsyny AlÂlwsy (AlmtwfŶ: ١٢٧٠h-) ، AlmHqq: ςly ςbd AlbAry ςTyħ ،AlnAŝr: dAr Alktb Alςlmyħ- byrwt ، AlTbςħ: AlÂwlŶ١٤١٥ ، h-.
AlrwD AldAny (Almςjm AlSγyr) ،slymAn bn ÂHmd AlTbrAny ،tHqyq: mHmd ŝkwr Âmryr ،T١ ،Almktb AlǍslAmy ،dAr ςmAr ،byrwt ،ςmAn١٤٠٥ ،h - -١٩٨٥m.
zAd AlmςAd fy hdy xyr AlςbAd ،mHmd bn Âby bkr bn Alqym ،T٢٧ ،mŵssħ AlrsAlħ ،byrwt ،mktbħ AlmnAr AlǍslAmyħ ،Alkwyt١٤١٥ ،h١٩٩٤ --m.
sbl AlslAm ،mHmd bn ǍsmAςyl AlSnςAny ،dAr AlHdyθ ،bdwn Tbςħ wtAryx. nsxħ AlŝAmlħ.
slslħ AlÂHAdyθ AlSHyHħ ،mHmd nASr AlÂlbAny ،T١ ،mktbħ AlmςArf llnŝr wAltwzyς ،AlryAD١٤١٥،h١٩٩٤ --m.
ŝÂn AldςA' ،Hmd bn mHmd AlxTAby ،tHqyq: AHmd AldqAq ،T١ ،dAr AlθqAfħ Alςrbyħ١٤٠٤ ،h١٩٨٤--m.
ŝrH ryAD AlSAlHyn ،mHmd bn SAlH Alςθymyn dAr AlwTn llnŝr ،AlryAD ، AlTbςħ: ١٤٢٦ h-.
ŝςb AlǍymAn ،ÂHmd bn AlHsyn Albyhqy ،tHqyq wtxryj d. ςbd Alςly HAmd ، T١ ،mktbħ Alrŝd ،AlryAD١٤٢٣ ،h-.
SHyH Altrγyb wAltrhyb ،mHmd nASr AlAlbAny ،T١ ،mktbħ AlmςArf ، AlryAD ،Alsςwdyħ. ١٤٢١h٢٠٠٠ --m.
SHyH AljAmς AlSγyr wzyAdth ،mHmd nASr AlAlbAny ،Almktb AlǍslAmy ، bdwn tfASyl.
Alςbwdyħ ،ÂHmd bn ςbd AlHlym bn tymyħ ،tHqyq mHmd AlŝAwyŝ ،T ٧ ، Almktb AlǍslAmy ،byrwt١٤٠٥ ،h٢٠٠٥--m.
ςmdħ AlqAry ŝrH SHyH AlbxAry ،mHmwd bn ÂHmd bdr Aldyn AlςynŶ (AlmtwfŶ: ٨٥٥h-)،dAr ǍHyA' AltrAθ Alςrby ،byrwt.
ftH AlbAry ŝrH SHyH AlbxAry ،ςly bn Hjr AlςsqlAny ،dAr Almςrfħ ،byrwt ، ١٣٧٩h-.
ftH Alqdyr ،mHmd bn ςly AlŝwkAny (AlmtwfŶ: ١٢٥٠h-)dAr Abn kθyr ،dAr Alklm AlTyb-dmŝq ،byrwt ،T١١٤١٤ ،h-.
fqh AlÂsmA' AlHsnŶ ،ςbd AlrzAq bn ςbd AlmHsn Albdr ،nsxħ Ǎlktrwnyħ ، bdwn tfASyl.
fyD Alqdyr ŝrH AljAmς AlSγyr ،ςbd Alrŵwf AlmnAwy ،T١ ،Almktbħ AltjAryħ ،mSr١٣٥٦ ،h-.
qDA' AlHwAŶj ،ςbdAllh bn mHmd bn ςbyd Almςrwf bAbn Âby AldnyA ، tHqyq: mjdy Alsyd ǍbrAhym ،mktbħ AlqrĀn ،AlqAhrħ.

AlkŝAf çn HqAŶq γwAmD Altnzyl ،mHmwd bn çmrw Alzmxŝry (AlmtwfŶ: ٥٣٨h-) ،AlnAŝr: dAr AlktAb Alçrby – byrwt ،AlTbçħ: AlθAlθħ - ١٤٠٧ h-.
lbAb AltÂwyl fy mçAny Altnzyl ،çly bn mHmd Almçrwf bAlxAzn (AlmtwfŶ: ٧٤١h-) ،tSHyH: mHmd çly ŝAhyn ،AlnAŝr: dAr Alktb Alçlmyħ –byrwt ، AlTbçħ: AlÂwlŶ١٤١٥ ، h-.
AllbAb fy çlwm AlktAb ،çmr bn çly bn çAdl AlHnbly ،(AlmtwfŶ: ٧٧٥h-). AlmHqq: Alŝyx çAdl ÂHmd çbd Almwjwd wAlŝyx çly mHmd mçwD ، AlnAŝr: dAr Alktb Alçlmyħ -byrwt lbnAn ،AlTbçħ: AlÂwlŶ١٤١٩ ، h- - ١٩٩٨m.
AlmxtSr fy tfsyr AlqrĀn Alkrym ،tSnyf: jmAçħ mn çlmA' Altfsyr ،ĂŝrAf: mrkz tfsyr lldrAsAt AlqrĀnyħ ،AlTbçħ: AlθAlθħ١٤٣٦ ، h-.
mdArk Altnzyl wHqAŶq AltÂwyl ،çbd Allh bn ÂHmd Alnsfy (AlmtwfŶ: ٧١٠h-) ،tHqyq: ywsf çly bdywy ،AlnAŝr: dAr Alklm AlTyb ،byrwt ،AlTbçħ: AlÂwlŶ١٤١٩ ، h١٩٩٨ - -m.
Almsnd AlSHyH AlmxtSr bnql Alçdl çn Alçdl ĂlŶ rswl Allh SlŶ Allh çlyh wslm ،mslm bn AlHjAj AlnysAbwry (AlmtwfŶ: ٢٦١h-) ،tHqyq: mHmd fŵAd çbd AlbAqy ،dAr ĂHyA' AltrAθ Alçrby – byrwt.
mçAlm Alsnn ،Hmd bn mHmd Albsty AlxTAby ،T١ ،AlmTbçħ Alçlmyħ ،Hlb ، ١٣٥٢h١٩٣٢ –m
Almfhm lmA Âŝkl mn tlxyS ktAb mslm ،ÂHmd bn çmr AlqrTby ،tHqyq: mHy Aldyn dyb wĀxrwn ،dAr Abn kθyr ،dmŝq ،byrwt ،dAr Alklm AlTyb ،dmŝq-byrwt ،T١١٤١٧ ،h١٩٩٦ –.
mkArm AlÂxlAq ،mHmd bn jçfr AlxrAŶTy ،tHqyq: Âymn AlbHyry ،T١ ،dAr AlĀfAq Alçrbyħ ،AlqAhrħ١٤١٩ ،h١٩٩٩--m.
AlmqSd AlÂsnŶ fy ŝrH mçAny ÂsmA' Allh AlHsnŶ ،mHmd bn mHmd AlγzAly (AlmtwfŶ: ٥٠٥h-) ،AlmHqq: bsAm çbd AlwhAb AljAby ،AlnAŝr: AljfAn wAljAby – qbrS ،AlTbçħ: AlÂwlŶ١٤٠٧ ،- ١٩٨٧.
AlmnhAj ŝrH SHyH mslm bn AlHjAj ،yHyŶ bn ŝrf Alnwwy ،T٢ ،dAr ĂHyA' AltrAθ Alçrby ،byrwt ،lbnAn١٣٩٢ ،h-.
nĎm Aldrr fy tnAsb AlĀyAt wAlswr ،Almŵlf: ĂbrAhym bn çmr bn Hsn AlrbAT bn çly bn Âby bkr AlbqAçy ،dAr AlktAb AlĂslAmy ،AlqAhrħ.

***